

حكومة الحبيب الجملي: الولادة العسيرة

العربية

Leaders

العدد 48 • السعر : 2,5 د.ت • ديسمبر 2019

امياه المعدنية المعلبة
والاستشفاء بالمياه
أكثر من

1000

مليون دينار
مداخيل سنويًا

رشيد خشانة
مشهد سياسي متغير: أحزاب تندثر
وأخرى تطفو على السطح

عبد العزيز قاسم
الثقافة هي الحل

محمد إبراهيم الحمايري
«كفى... لم نعد نحتمل»
إنها الموجة الثانية من
«ثورات الربيع العربي»



الافتتاحية

• بقلم عبد الحفيظ الحرّقام

هل حتى تكون الفلاحة قطاعا استراتيجيا بحق

زمن الجفاف على الرغم من المجهود الذي بذلته الدولة من أجل الزيادة في المخزون المائي من خلال بناء السدود الكبرى والسدود الصغرى وتهيئة البحيرات الجبلية غير أن المجهود يظل غير كاف أمام توسع رقعة النشاط الفلاحي وتنوعه.

أما الصيد البحري الذي يوفّر أكثر من 50 ألف فرصة عمل مباشرة و20 ألف فرصة عمل غير مباشرة فهو يعاني أيضا من مشاكل متفاقمة تتمثل خاصة في انعدام التأمين لفائدة جانب وافر من البحّارة وتراجع المداخيل بسبب الزيادات المتتالية في سعر المحروقات التي لم يرافقها ارتفاع في الدعم، بالإضافة إلى هنات في مستوى الحوكمة التي باتت في حاجة مؤكدة إلى التطوير قصد رفع الإنتاج والحفاظ على الثروة السمكية من مخاطر الصيد العشوائي.

لم يرد في وثيقة ميزانية الدولة لسنة 2020 ما يؤكّد أنّ النهوض بالفلاحة، على الرغم من أهميتها الاقتصادية والاجتماعية، يندرج ضمن الأهداف الاستراتيجية للفترة 2020 - 2022 إذ أُشير بشكل مبهم إلى «اعتماد مقاربات متجدّدة لتفعيل السياسات والاستراتيجيات القطاعية» وإلى «تدعيم الإصلاحات المرتبطة بمنظومات التربية والتعليم العالي والصحة والتكوين المهني» دون ذكر القطاع الفلاحي الذي كان نصيبه من نفقات التنمية 989 مليون دينار من مجمل النفقات في هذا الباب والمقدّرة بـ6,9 مليار دينار. قد نتقبّل الرأي القائل أنّه ليس بالإمكان أفضل ممّا كان في ظلّ التوازنات المالية الحالية ونضوب خزائن الدولة جرّاء ارتفاع حجم المديونية، بيد أنّ الفلاحة هي اليوم في أمسّ الحاجة إلى إرادة سياسية قويّة ورؤية جديدة تنصهر ضمن مقاربة شاملة للنهوض بالعالم الريفي وذلك لإنقاذ هذا القطاع الحيوي بوضعه دون إبطاء على سكة الإصلاح والتطوير لا سيّما وأنّ العديد من البرامج والمشاريع ظلّت منذ سنوات حبيسة الأدرج في الإدارة تنتظر التنفيذ، شأنها شأن عديد المطالب الصادرة عن الفلاحين ومنظمتهم والتي بقيت دون ردّ. فلماذا لا يتمّ التوجّه بجديّة نحو مراجعة آليات تمويل القطاع الفلاحي ودعم الإنتاج لحماية منظوماته على غرار ما هو معمول به في دول الاتحاد الأوروبي والاستعاضة عن الطرق التقليدية في مجال الإرشاد الفلاحي بمنظومة رقمية تتضمن بيانات يحتاجها الفلاح لتطوير نشاطه وإنشاء «مدارس ميدان» لتكوين الفلاحين يتولّى التأطير فيها أهل الذكر من أخصائيين وفلاحيين من ذوي التجربة الواسعة وإحداث مركز دراسات صلب للاتحاد التونسي للفلاحة والصيد البحري يمكنه من مزيد طرح البدائل والمقترحات للنهوض بالقطاع؟ فأيّ مستقبل للفلاحة التونسية؟ وأي حظّ لها في برامج الحكومة الجديدة. فلنتنظر عسى أن يكون القادم أفضل.

كل عام وأنتم بخير.

ع.هـ

أصبحت تونس بلدا غير قادر على التحكم في وفرة منتوجها الفلاحي في عدد من القطاعات ولا على مواجهة شحّ ظرفي في بعض الموادّ كانت تحقق فيها اكتفاءها الذاتي فلا تجد من سبيل لتعديل السوق سوى التوريد باعتبارها أسهل الحلول كما جرى مؤخرا بخصوص مادة البطاطا؟ ذلك هو السؤال الذي يتبادر إلى الذهن عندما تتناهى إلى مسامعنا اليوم أصوات منتجي الزيتون الغاضبة جرّاء انهيار الأسعار التي لا تغطّي كلفة الإنتاج وذلك أمام تراجع الدور التعديلي للديوان الوطني للزيت الذي لم يُخصّص له لاقتناء جزء من المحصول إلا مبلغ 50 مليون دينار، وهو مبلغ غير كاف بالمرة إذا ما اعتبرنا حجم صابة قياسية قدرت بـ350 ألف طنّ من الزيت. موجة الغضب والاستياء طالت أيضا المنتجين في قطاعات عدّة كتربية الدواجن وتربية الماشية والخضر والغلال بسبب ارتفاع أسعار المدخلات الفلاحية وتدني المداخيل وعجز الحكومة عن التصديّ الحازم للمضاربين والوسطاء المتحكّمين في السوق على حساب الفلاحين والمستهلكين على حدّ سواء.

ليست هذه الأوضاع في الحقيقة إلا تجلّيا لأزمة مزمنة تعيشها الفلاحة التونسية، ازدادت حدّتها في السنوات الأخيرة نتيجة التأخّر في تنفيذ الإصلاحات الضرورية لجعله بحقّ قطاعا استراتيجيا وإحدى الدعائم الأساسية للاقتصاد الوطني، تجسيدا لشعار طالما حملته الخطاب الرسمي منذ عقود. فقطاع الفلاحة والصيد البحري لم يساهم في الخمس عشرة سنة الماضية إلا بما يقارب 8,6 بالمائة في الناتج المحلي الخام ولا تزيد نسبة اليد العاملة النشيطة فيه عن السدس من مجمل النشيطين في البلاد وهي نسبة ما فتئت في انخفاض على الرغم من ارتفاع فرص العمل الموسمي لا سيّما زمن وفرة الإنتاج كما هو الحال هذه السنة فيما يخصّ صابة الزيتون.

لقد تمّ منذ سنوات عديدة تشخيص المشاكل الهيكلية التي تشكو منها الفلاحة ومن بينها تقدّم سنّ العدد الأوفر من المتعاطين لهذا النشاط وتشتت الملكية إذ أنّ قرابة 75 بالمائة من المستغلات الفلاحية تمسح أقلّ من 10 هكتارات، فضلا عن الصعوبات التي يلاقيها خاصّة صغار الفلاحين، وهم الأغلبية الساحقة، في الحصول على قروض بشروط ميسّرة، علما بأنّ البنوك لا تساهم إلا بنسبة 6 بالمائة فقط في تمويل الفلاحة.

ويمكن أن نضيف إلى ما تقدّم ذكره القصور الجليّ في مجال الإرشاد الفلاحي بسبب ما اعتري منظومته في السنوات الأخيرة من تعزّر نتيجة النقص الحاصل في الإطار البشري على إثر تقاعد عدد من المهندسين والفنيين لم يقع تعويضهم وتهالك جانب من أسطول السيارات المسخّرة لهذه الخدمة فأضحى الفلاح في غالب الأحيان مفتقدا لمن يوجهه في معالجة ما يصيب أشجاره أو مزروعاته أو قطيعه من أمراض وآفات ويرشده إلى أفضل الطرق قصد الوقاية منها وينير السبيل أمامه لتحسين إنتاجية نشاطه.

كما لا تفوتنا الإشارة إلى التأثيرات السلبية لشحّ الموارد المائية على القطاع الفلاحي

PACK STAR ★ هنيني

أضمن حياتك

Le premier pack assurance
tout compris pour les professionnels .

*Offre valable jusqu'au 31/01/20



**2 MOIS
GRATUITS**
pour chaque souscription au pack

STAR
تأمينات
عمل علينا

star.com.tn



اتحاد الشغل يكرم الرئيس محمد الناصر

«الرجل المتشبع بقيم الدولة المدنية والروح الوطنية الأصيلة» الذي وقف طيلة مسيرته السياسية إلى جانب الاتحاد، مدافعا عن الحق النقابي وعن قضايا الشغالين.

وشدّد الرئيس محمد الناصر على ضرورة تجيل المصلحة الوطنية بعيدا عن الأهواء الفئوية والحزبية وتوحيد الصفوف لتحقيق النجاح المطلوب. وأبرز أهمية دور الاتحاد في الدفاع عن حقوق العمّال والأجراء والطبقة الشغيلة وإسهامه في بناء الدولة التونسية وإنجاح الثورة والانتقال الديمقراطي.

في بادرة هي الأولى من نوعها في تاريخه، أكرم الاتحاد العام التونسي للشغل، بمقرّه بساحة محمد علي بالعاصمة وفي يوم إحياء الذكرى السابعة والستين لاستشهاد الزعيم النقابي فرحات حشاد، رئيس الجمهورية الأسبق السيد محمد الناصر، وذلك بحضور جمع من النقابيين وعميد المحامين التونسيين ورئيسة الاتحاد الوطني للمرأة التونسية.

وأكد نور الدين الطّبوي الأمين العام للمنظمة الشغيلة أنّ هذا التكريم اعتراف بالدور الوطني والاجتماعي الذي اضطلع به محمد الناصر في هذه المرحلة الفارقة التي تمرّ بها تونس وهو

انطلاق أشغال بناء قصر العدالة الجديد بالعاصمة في سنة 2020

الابتدائية بزغوان وبنزرت والمهدية وانطلاق أشغال بناء محاكم النواحي بتاجروين وحفوز وبوحجلة ونابل وبنفسرة والفرع العقاري بنابل وكذلك أشغال بناء إدارات جهوية ومجمّعات أرشيف بكل من صفاقس والقيروان وسوسة، فضلا عن المقر الجديد للإدارة العامة للمصالح المشتركة لوزارة.

من المنتظر أن يُشروع بداية من السنة القادمة في بناء قصر العدالة الجديد بشارع 9 أبريل بتونس العاصمة بكلفة تقدّر بحوالي 120 مليون دينار بعد أن شهد هذا المشروع تأخيرا في الإنجاز. كما سيُشروع في أشغال توسعة محكمة التعقيب باعتماد قدره 5,5 مليون دينار. ومن المشاريع الأخرى التي برمجتها وزارة العدل لسنة 2020 استكمال أشغال توسعة المحاكم

التربية على وسائل الاتصال في برامج الابتدائي بداية من العام القادم

في خطوة رائدة على درب تجويد النظام التربوي في تونس أعلن وزير التربية حاتم بن سالم عن قرار إدراج التربية على وسائل الاعلام في البرامج البيداغوجية للمرحلة الابتدائية ابتداء من العام القادم وذلك مباشرة بعد توقيع اتفاقية شراكة وتعاون بين وزارة التربية والجمعية التونسية للتربية على وسائل الإعلام ممثلة في شخص رئيسها المؤسس الدكتور ناجح الميساوي. وجاء قرار الوزارة منسجما تماما في مشروع الجمعية الذي نادى به منذ تأسيسها في سنة 2013 ومنسجما مع رؤيتها الاستراتيجية في نطاق اختصاصها.

وتمثل الاتفاقية نقطة تحوّل في عمل الجمعية خاصّة وأنّها الأولى المختصّة في هذا المجال التربوي الإعلامي وتعمل ضمن برامجها على ترسيخ التربية على وسائل الإعلام في الحقلين التربوي والتعليمي. وستعمل الجمعية بموجب الاتفاقية الإطارية وبالتعاون مع الوزارة على بعث نوادي التربية على وسائل الاعلام في المؤسسات التربوية وتشجيع التلاميذ على الإبداع والإنتاج الصحفي وتنظيم مهرجان الإبداع الإعلامي التلميذي، فضلا عن تكوين الإطار التربوي في تقنيات الإعلام والاتصال وإعداد دليل التربية على وسائل الإعلام وغيرها من النقاط الهامة.

وتعتبر تونس من الدول العربية القلائل التي ستعتمد في مناهجها التربوية مادّة التربية على وسائل الإعلام على غرار المغرب ولبنان.



إقبال متزايد على التعليم الخاص في تونس

كشفت دراسة أجرتها وزارة التربية حول الخارطة المدرسية أنّ عدد المدارس الابتدائية الخاصّة في تونس تضاعف ثلاث مرّات في ظرف 5 سنوات وقد بلغ حاليا 566 مؤسسة في كامل تراب الجمهورية يؤمّها 90 ألفا و294 تلميذا وتعدّ 8769 مدرّسا. وتأتي بن عروس في مقدّمة الجهات التي يوجد بها أكبر عدد من المدارس الابتدائية الخاصّة بـ 59 مدرسة تليها أريانة بـ 53 مدرسة بينما لا تعدّ تطاوين سوى مدرسة واحدة. ويمثّل عدد التلاميذ في هذه المدارس نسبة 7,66 بالمائة من مجمل التلاميذ في مرحلة التعليم الابتدائيّ والبالغ عددهم مليوناً و177 ألفاً و673 تلميذا.

أما في التعليم الإعدادي والثانوي فقد بلغ عدد التلاميذ 80 ألفاً و737 تلميذا موزعين على 415 مدرسة إعدادية ومعهد ثانوي في مختلف أنحاء البلاد يتولّى التدريس فيها 12 ألفاً و561 مدرّسا. وتتصدّر تونس 1 قائمة الجهات التي تضمّ أكبر عدد من المدارس الإعدادية والمعاهد الخاصّة بـ 39 مدرسة ومعهدا وتليها نابل بـ 29 مؤسسة في حين تأتي زغوان في آخر القائمة بأربع مؤسسات فقط. وتمثّل نسبة تلاميذ القطاع الخاص في مرحلة التعليم الإعدادي والثانوي 8,64 بالمائة من العدد الإجمالي للتلاميذ في هذه المرحلة والبالغ 933 ألفاً و695 تلميذا.

ولئن تزايد الإقبال على التعليم الخاص في السنوات الأخيرة بسبب تفاقم ظاهرة إضرابات إطار التدريس وتدني جودة التعليم في المدارس والمعاهد العمومية فإنّ هذا القطاع لا يستقطب في ضوء هذه الأرقام إلاّ 7,86 بالمائة من مجمل التلاميذ في مرحلتي التعليم الابتدائي والتعليم الثانوي والبالغ عددهم مليونين و174 ألف تلميذ.



SPA BY LAICO TUNIS

Une Oasis de sérénité, Un sanctuaire dédié pour votre détente...

Jouissez des rituels de soins et des massages personnalisés et bienfaits, de la somptueuse piscine couverte avec sa vue sur les lumières de la ville, de l'Infinity Pool et du centre de remise en forme qui encourage votre quête de bien-être.



EL MOURADI
THALASSO & SPA

www.elmouradi.com

Marketing & Sales Department,
P.O. Box 48 - 4089 Port El Kantaoui - Tunisie
Tel. : +216 73 246 355 - Fax : +216 73 246 250 - E-mail : crm@elmouradi.com
Call Center : +216 73 347 666



صدور مؤلفات لعهد من رجالات السياسة والدبلوماسية في تونس

فضلا عن تناول موضوع التكامل العربي والقضية الفلسطينية وعوامل استقامة الحضارة.

كتاب آخر صدر عن «نظر» للنشر من تأليف صالح البكاري الوزير المستشار ووزير الثقافة والسفير بالرباط سابقا وعنوانه «صالح البكاري، سفيراً بالمملكة المغربية» وقد اجتمعت فيه معلومات وأفكار ومشاعر ومواقف إلى جانب بعض التحاليل والآراء انطلاقاً من الفترة التي عاشها مؤلفه سفيراً بالمملكة المغربية لمدة ثلاث عشرة سنة فجاء الكتاب في شكل فصول عن الحياة السياسية في المغرب وعن العلاقات التونسية المغربية وعن عمل السفير والاتحاد المغربي والعمل الدبلوماسي من خلال العلاقات بالنظر.

أما الدبلوماسي مولدي الساکري فقد صدر له عن دار «نقوش عربية» كتاب بعنوان «أدراج الرياح، مسيرة حياة دبلوماسي تونسي» يستعرض فيه أطوار مسيرة دبلوماسية استغرقت زهاء 33 سنة أبحرت سفينته خلالها إلى مناطق مختلفة من العالم للعمل بها أو للقيام بمهام محددة عضواً في الوفود التونسية أو رئيس وفد وذلك من سنة 1979 تاريخ التحاقه بوزارة الشؤون الخارجية إلى غاية سنة 2012. وقد تقلد طوال هذه المسيرة مناصب عدة في الحقل الدبلوماسي منها بالخصوص قنصل تونس بنابولي وسفير تونس بكل من إيران وكندا وكوبا، وعلى الصعيد المركزي تولى مهام مدير المغرب العربي واتحاد المغرب العربي ومدير عام الشؤون الأفريقية والاتحاد الأفريقي.

الآفت للنظر في الآونة الأخيرة صدور مؤلفات لعدد من رجالات السياسة والدبلوماسية في تونس جمعت بين أجناس أدبية مختلفة منها السيرة الذاتية والشهادة التاريخية والخواطر والتأمل، فعلاوة على كتاب «بورقية زمن التحديت والتطلعات» لوزير الداخلية الأسبق الطاهر بلخوجة والذي قدّمه في هذا العدد مع مقتطفات منه في ركن «إصدارات» يُعرض حالياً في المكتبات كتاب الباهي الأدهم الصادر عن دار «نيرفانا» وعنوانه «الباهي الأدهم، الزعامة الهادئة، ذكريات وشهادات وخواطر»، وذلك بعد مرور ما يناهز إحدى وعشرين سنة عن وفاة هذا المناضل الوطني الكبير والرجل الثاني في الدولة منذ الاستقلال إلى غاية إعفائه من منصب الوزير الأول في نوفمبر 1970 وتعيينه بالهادي نويبة. ويعتبر هذا المؤلف الذي يقع في 748 صفحة مرجعاً مهماً يتضمّن صفحات من تاريخ الكفاح الوطني ضد الاستعمار منذ بداية ثلاثينات القرن الماضي وسرداً لمسيرة صاحبه النضالية في صفوف الحزب الحرّ الدستوري الجديد وتجربته في سجون المستعمر في تونس والجزائر، فضلاً عن المهام الحزبية والحكومية التي اضطلع بها والأحداث المفصلية التي كان فاعلاً فيها أو شاهداً عليها على الصعيد الوطني والمغاربي والعربي والدولي.

كما صدر عن دار الجنوب كتاب للشاذلي القليبي وزير الشؤون الثقافية ووزير الإعلام ومدير الديوان الرئاسي في عهد بورقية الأمين العام السابق لجامعة الدول العربية بعنوان «تونس وعوامل القلق العربي»، وفي الكتاب خواطر عن الثورة التونسية وتحليل لوجوه من الإرث البورقيبي وتأمّل في مسألة الإسلام في مواجهة العصر،



• بقلم رشيد خشناة

مشهد سياسي مُتغير أحزاب تندثر وأخرى تطفو على السطح

مع نهاية سنة 2019، التي كانت سنة الانتخابات بامتياز، وبدايات سنة 2020 نلاحظ أنّ المشهد السياسي مُقبل على تغييرات كبيرة، سنؤثر في خارطة الحزبية، إذ أن الأحزاب الأربعة أو الخمسة الأولى في مجلس النواب، ستعقد مؤتمرات لتجديد قياداتها وهياكلها. فيما تعرضت أحزاب أخرى إلى ضربات قاصمة، مثل حزب «نداء تونس» الذي تحلل جسمه وتفككت هياكله. أمّا الصنف الثالث فيتمثل في الأحزاب التي لم تعد ممثلة في البرلمان، بالرغم من أنها احتلت موقعا مهما في المجلس التأسيسي (2011-2014)، وشارك بعضها حتى في الحكم.

منحى ثوري؟

ربّما يكون العذاري عبّر بصوت عال عن مشاعر كثيرين في الحركة، ذلك أن استقالته تزامنت مع استقالة أخرى لا تقلّ عنها أهمية ورمزية، بل ربّما تفوقها، وهي استقالة القيادي في الحركة زبير الشهودي، الذي شغل منصب مدير مكتب رئيس الحركة لسنوات طويلة، حتى جاز نعتّه بالصندوق الأسود للحركة. ويقدر ما كان العذاري متحفّظا، إذ اقتصر على نشر جزء من رسالته إلى رئيس الحركة، كان الشهودي قاطعا حاسما في انتقاداته لرئيس الحركة، ناصحا إيّاه باعتزال السياسة والحدّ من نفوذ أقربائه. وانبنى هذا الموقف على ما اعتبره الشهودي رسالة مضمونة الوصول من الناخبين إلى الحركة، في إشارة إلى ما كشفته نتائج الانتخابات الرئاسية والتشريعية الأخيرة، من تقلص لخزّانها الانتخابي.

وقد يكون العذاري عبّر بصوت عال عن مشاعر كثيرين في الحركة، ذلك أن استقالته تزامنت مع استقالة أخرى لا تقلّ عنها أهمية ورمزية، بل ربّما تفوقها، وهي استقالة القيادي في الحركة زبير الشهودي، الذي شغل منصب مدير مكتب رئيس الحركة لسنوات طويلة، حتى جاز نعتّه بالصندوق الأسود للحركة. ويقدر ما كان العذاري متحفّظا، إذ اقتصر على نشر جزء من رسالته إلى رئيس الحركة، كان الشهودي قاطعا حاسما في انتقاداته لرئيس الحركة، ناصحا إيّاه باعتزال السياسة والحدّ من نفوذ أقربائه. وانبنى هذا الموقف على ما اعتبره الشهودي رسالة مضمونة الوصول من الناخبين إلى الحركة، في إشارة إلى ما كشفته نتائج الانتخابات الرئاسية والتشريعية الأخيرة، من تقلص لخزّانها الانتخابي.

تهديد للتداول

على هذه الخلفية المتحرّكة تتقدّم الحركة نحو مؤتمرها، الذي يحلّ ميقاته في ماي المقبل، ولكلّ تيّار من التيارات الثلاثة، إن صحّ التصنيف، حساباته وأهدافه من المؤتمر. وفي مقدّمة الأهداف التنافس على رئاسة الحركة، بناء على أنّ العهدة الراهنة هي الأخيرة لرئيسها الحالي، مثلما تمّ التذكير بذلك في المؤتمر الأخير للحركة. وساعد انتخاب رئيسها على رأس السلطة التشريعية في التمهيد للتداول على رئاسة الحركة. غير أنّ الأمور قد لا تسير في هذا المنحى، وقد يُؤجل هذا الاستحقاق أصلا، بحجة أنّ التحضيرات اللازمة لعقد المؤتمر لم تنطلق بعد. ومن هنا فالأرجح أنّ الصراع بين الشقّين الرئيسيين في الحركة سيستمرّ في التفاعل، وستخرج بعض فصوله إلى العلن، وسيكون استعجال عقد المؤتمر أحد عناوينه ومحاوره الرئيسية.

مقابل هذه التفاعلات داخل حركة «النهضة»، أصيب غريمها اللدود، حزب «نداء تونس»، وهو حليفها بعد انتخابات 2014، بضربة قاصمة، في الانتخابات التشريعية والرئاسية الأخيرة. وتأكّد لدى من كانت لديهم بعض الشكوك، أنّه كان حزبا على مقاس الرئيس الراحل الباجي قائد السبسي، ولم يستطع أيّ من خلفائه، بمن فيهم نجله، أن يرتدي ذلك الثوب ويكون موافقا لمقاسه.

مواليد جد

بعد دخول الرئيس الباجي إلى قصر قرطاج، تفجّرت صراعات داخلية مريرة شغلت الرأي العام، عبر جعجة الحوارات التلفزية الصاخبة، حتى جعلت المواطن يكفر بالسياسة والسياسين، خاصة بعدما تدنّت أحيانا إلى مستويات صيبانية. ولم يفلح خصوم المدير التنفيذي للحزب، حافظ قائد السبسي، في إزاحته من موقع القيادة،

إلا أنّ استمرار الخصومات بين الإخوة الألداء جعل الحزب يلد أربعة أو خمسة أحزاب منشقة عنه، ويتحلّل الرصيد الشعبي الذي حصده عشية انتخابات 2014.

ومن المفارقات غير المسبوقة أنّ الحزب الذي أقي الأول في انتخابات 2014 وشكّل الحكومات المتعاقبة، لم يحصد في انتخابات 2019 سوى ثلاثة مقاعد، بعدما كان يجمع 86 مقعدا في المجلس السابق. ويعود هذا التفكك السريع إلى طبيعة التركيبة الفكرية والاجتماعية للحزب، منذ إنشائه، إذ لم تكن تُوحّد عقيدة سياسية ولا يسنّده بناء تنظيمي، وإيّا كان خليطا بين أفراد وجماعات لا يجمع بينها جامع، عدا الاعتقاد الجازم بأنّ «النداء» سيكون حزب الحكم. وزاد استئثار نجل مؤسس الحزب بالقيادة من تسريع خروج الخارجين من «النداء»، مع ما صاحب تلك الاستقالات من تزييل لصورة الحزب لدى النخب والرأي العام عموما. بهذا المعنى كانت أزمة «النداء» أزمة شرعية ومشروعية معاً، لم تحلّ إلا باضطرار رئيس لجنسته المركزية حافظ قائد السبسي (تغيّرت ألقابه أكثر من مرّة) إلى مغادرة البلاد منذ رحيل والده، خشية التعرض لتبّعات قضائية.

فراغ قيادي

وسعى كثير من المسؤولين في الحزب إلى انتهاز الفراغ القيادي من أجل الحلول في كرسي الزعامة، لكنهم وجدوا البيت خواء صفصفا، ليس فقط في العاصمة، بل في الجهات أيضا، حيث اندثرت الهياكل التنظيمية. من هنا يأتي الاختلاف بين أحزاب الفكرة التي استطاعت أن تحفر لها مكانا في المشهد السياسي، وتُحسن نتائجها من انتخابات إلى أخرى، وحزبٌ كانت فكرته الوحيدة هي «إحداث التوازن مع النهضة» في 2014، غير أنّه لم يعرف كيف يحافظ على وحدته، ويبني مشروعا لتونس يوازي المشروع المقابل.

وعلى غرار حزب «النداء» لكن بمسارات أقلّ دراماتيكية، عرفت أحزاب أخرى مصيرا غير بعيد. ويكفي استعراض أسماء الأحزاب التي كانت ممثلة في المجلس التأسيسي ومقارنتها بواقع خارطة البرلمانية اليوم، لنذكر المتغيّرات الكبرى التي عرفتها الساحة السياسية في السنوات الأخيرة. حتى مفردات الاستقطاب الثنائي الذي عشنا على وقعه طيلة سنوات، ستتغيّر مضامينه ومآلاته، لأنّه لن يكون بين «النهضة» وحزب بعينه، وإيّا بينها وبين عدد من الأحزاب المنافسة، يقلّ أو يزيد بحسب الموضوع. وطبعا لا يتعلق الأمر هنا بالمنافسة الصغيرة مع الحزب الدستوري الحرّ، وإيّا بالمنافسة الحقيقية حول المشروع المجتمعي، وهذا موضوع آخر. ■

ر.خ.

لأن

تميّزت حركة «النهضة» منذ تأسيسها في 6 جوان 1981 بتماسكها الداخلي وانضباط أعضائها، فإنّ استقالة أمينها العام زياد العذاري، لم تكن حدثا عابرا، أو خبرا في زاوية المتفرقات. فالاستقالة شملت الأمانة العامة وعضوية المكتب التنفيذي عبر رسالة وجّهها إلى رئيس الحركة، ونشر مقتطفات منها عبر صفحته على «الفيسبوك». ويمكن القول إنّ تلك الخطوة غير الاعتيادية في مسار الحركة (عدا استقالة الأمين العام الأسبق حمادي الجبالي في 2013)، أتت تعبيرا جديدا عن الصراع الدائر خلف أسوار الحركة في «مونبليزير»، بين تيّار يمكن تصنيفه في خانة البراغماتية، وآخر يمكن اعتباره محافظا أو أصوليا. وتجلّى هذا الاستقطاب في المؤتمر الأخير للحركة (2016) بنسب تقارب 70 في المائة للتيّار الأول الذي يشمل القيادة، و30 في المائة للتيّار الثاني. لكن الأهمّ من ذلك هو أنّ الخلاف خرج إلى العلن، وصار أمرا واقعا في اجتماعات مجلس الشورى، بل وممرا إجباريا لدى اتخاذ القرارات المهمة. مع ذلك بقي المكتب التنفيذي مواليا لرئاسة الحركة، بعدما اشترط رئيسها في المؤتمر الأخير أن يكون فريق القيادة التنفيذية من «المنسجمين» معه والمقتنعين بخطة السياسي.



• بقلم د. الحبيب الدريدي

حكومة الحبيب الجملي: الولادة العسيرة

كان

من المتوقع أن لا تكون مهلة الشهر الأول كافية لإعلان الحكومة التي عهد إلى الحبيب الجملي بتشكيلها وأن يترتب عن ذلك طلب تمديد تلك المهلة إلى شهر ثان يتم خلاله إما تكوين الحكومة أو إنهاء التكليف. ومبررات ذلك التوقع عديدة:

• أولها نتائج الانتخابات التشريعية الأخيرة التي لم تمكن أي حزب سياسي أو أية عائلة فكرية سياسية من أغلبية مريحة تسمح لها بتوفير حزام كاف من الكتل البرلمانية حول حكومتها المفترضة.

• وثانيها طبيعة المشهد السياسي الذي شهد صعود قوى سياسية متنافرة وغير متجانسة يصعب التحالف بينها أو تقريب وجهات نظرها إما لأسباب إيديولوجية مبدئية أو لاختلافات عميقة وجذرية في فهم السياق السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي تعيشه البلاد والتعاطي مع مفرداته.

• وثالثها أعباء السنوات التسع من الحكم التي ينوء بحملها حزب حركة النهضة «الفائز» في انتخابات 2019 والتي جعلته في أعين جل الأحزاب المعنية بتشكيل الحكومة عنوان فشل ذريع وارتباك، وهو ما دفعها إلى وضع شروط صارمة قبل أن تشاركه الحكم توقيًا من مخاطر فشل جديد.

في ظل هذا الإطار المعقد تولى رئيس الحكومة المكلف الحبيب الجملي مهمته العسيرة من أجل الوصول إلى توليفة مثلى تجمع المبعثر وتصهر المتناهي. وكانت منهجيته واضحة في

الإصغاء وانفتاحه على كل الآراء وإيمانه بالكفاءة والنزاهة قبل التحزب ووعيه برهانات المرحلة وتحدياتها الكبرى.

ورغم تلك الجهود المبذولة واللقاءات الماراطونية التي شهدتها قصر الضيافة بقرطاج فإن المشاورات لم تفض إلى نتائج ملموسة بعد شهر كامل من انطلاقها مما جعل الإعلان عن الحكومة الجديدة يتأجل إلى موعد غير معلوم ولكنه ينبغي أن لا يتجاوز في كل الأحوال منتصف جانفي القادم. وهو ما يدعو إلى التساؤل عن الإشكاليات التي ستجعل ولادة هذه الحكومة ولادة عسيرة؟

الإشكالية الأولى تتصل بالتوجهات والأولويات، فإذا كانت بعض الأطراف المعنية بتشكيل الحكومة لم تتحدث كثيرا عن برنامج المرحلة القادمة وأولوياتها فإن حركة الشعب والتيار الديمقراطي يؤيدان هذه المسألة أهمية بالغة ويجعلانها في صدارة الاهتمامات، فحركة الشعب انتقدت في تصريحات قيادييها برنامج رئيس الحكومة المكلف ووصفته بعدم الوضوح، ولئن لم تشتط حقايب وزارية محددة فإنها اشتطت البدء بصياغة إعلان سياسي مفضل ودقيق يضبط الأولويات ويضع الأهداف ويوضح سبل بلوغها ويستجيب لمقتضيات المرحلة. أما التيار الديمقراطي فإنه يعتبر أن البرنامج المطروح تغلب عليه العموميات ولا يلامس المشاكل الحقيقية لأن أي إصلاح جذري وعميق لمنظومة الحكم ولأوضاع البلاد لا بد أن يبدأ من إصلاح منظومات الأمن والقضاء والإدارة، ومن ثم جاءت مطالبة التيار بوزارات الداخلية والعدل والإصلاح الإداري.

مباشرة هذا التكليف، فقد استند منذ البداية إلى برنامج مرجعي يستجيب في خطوطه الكبرى للتحديات الجسام التي تواجهها البلاد على مختلف الأصعدة وإن أخذ عليه أنه لا يختلف في شيء عن برنامج حركة النهضة - وهذا طبيعي باعتباره مرشح الحركة لرئاسة الحكومة - وأنه برنامج فضفاض تغلب عليه العموميات والشعارات المألوفة ويفتقر إلى كثير من التدقيق والتفصيل وإلى روح الابتكار والتجديد.

أما عن مسألة هيكلة الحكومة، فالثابت أن الحبيب الجملي لا يتبنى الفكرة الداعية إلى حكومة أقطاب وزارية مختصة ولا يميل إلى تجميع بعض الوزارات، ويرى أن البلاد ليست مهيأة لهذا الأمر في الوقت الراهن وأن الإقدام على مثل هذا التغيير سيكون مغامرة غير مأمونة العثار، وبالتالي فهو يفضل الإبقاء على الهيكلة الحالية مع إدخال بعض التحويرات الطفيفة.

وأما عن سلسلة المشاورات واللقاءات التي عقدها تحضيراً لتشكيل حكومته فلعلها كانت الأوسع والأشمل في تاريخ حكومات ما بعد 14 جانفي 2011، فقد شملت كما هو معتاد الأحزاب السياسية الممثلة في البرلمان وغير الممثلة والمنظمات الوطنية وسائر مكونات المجتمع المدني وعددا من الشخصيات الوطنية وممثلي الهيئات القائمة وبعض الأسلاك المهنية ورؤساء حكومات ووزراء سابقين وامتدت إلى المنظمات الطلابية والإعلاميين والمثقفين والفنانين وغيرهم. وقد رشحت عن هذه اللقاءات انطباعات عديدة تتقاطع في تأكيد تواضع الرجل وقدرته على

وتتعلق الإشكالية الثانية بالأطراف التي ستشارك في تشكيل الحكومة، ذلك أن بعض الأحزاب المعنية تسجل احترازا إزاء مشاركة أحزاب أخرى أو تشتط استبعادها من المشاركة، فالتيار وتحيا تونس يرفعان «فيتو» في وجه مشاركة قلب تونس، وائتلاف الكرامة غير مرحب به من قبل تحيا تونس الذي يشترط في الآن نفسه مشاركة التيار، مما جعل الأمور تتجه في وقت من الأوقات إلى «تشريك مقنع» لقلب تونس من خلال كفاءات يرشحها الحزب لا تنتمي إلى كتلته البرلمانية ولا إلى مكتبه السياسي وتتميز بالكفاءة والنزاهة ونظافة اليد والتجاعة في العمل.

ثم أثرت مسألة طبيعة الحكومة ونوعية الشخصيات التي سترشح لتولي الحقايب الوزارية: أهي حكومة كفاءات متحرزة؟ أم كفاءات تقنية غير منتمية إلى أحزاب سياسية؟ أم هي حكومة محاصصات حزبية تتكون من وجوه قيادية في أحزابها؟ ويبدو أن الرأي الغالب كان يتجه إلى المزج بين كل هذه التوعيات مع تطعيم الحكومة بعدد من المستقلين. فضلا عن ذلك طرحت مسألة تحييد وزارات السيادة من عدمه، فلئن كان رئيس الحكومة المكلف متمسكا بمبدأ تحييد تلك الوزارات فإن بعض الأحزاب المعنية بتشكيل الحكومة طالبت في لقاءاتها بالحبيب الجملي بعدم تحييدها من منطلق أنها وزارات مفصلية في تطبيق سياسات الحكومة ومن ثم ضرورة اسنادها إلى قيادات سياسية.

أما أم المشكلات فهي على الأرجح هوية الائتلاف المكون للحكومة وما يترتب عن تحديد تلك الهوية من تداعيات على طبيعة الحكومة ذاتها وعلى الحياة الداخلية للأحزاب المشكّلة لها.

لعله بات من الواضح أن الحكومة المقبلة ستتشكل على أحد هذين التحوين الرئيسيين:

• إمّا ائتلاف يضمّ حركة النهضة والتيار الديمقراطيّ وحركة الشعب وكتلة الإصلاح الوطنيّ مع إمكانية انضمام تحسبا تونس ويكون مدعوما من ائتلاف الكرامة ويتوقع أن يجمع عند التصويت على منح الثقة للحكومة ما يزيد عن 140 صوتا.

• وإمّا ائتلاف يضمّ حركة النهضة وقلب تونس وكتلة الإصلاح الوطنيّ ويكون مدعوما كذلك من ائتلاف الكرامة وبعض المستقلين ويمكن عندئذ أن تنال هذه الحكومة الثقة بما يُناهز 130 صوتا.

ومن المعلوم أنّ التيّار الديمقراطيّ وحركة الشعب كانا قد أعلنّا في وقت سابق عن تعليق مشاركتهم في المشاورات التي يُجريها رئيس الحكومة المكلف بسبب تمسكهما بما طرحاه من شروط للانضمام إلى الائتلاف الحكوميّ وهي شروط كان يصعب الاستجابة إليها كاملة.

وعليه انتظر بعض الملاحظين أن يصرف الحبيب الجملي النظر عن التيّار وحركة الشعب ويتّجه إلى الفرضية التي تتشكل فيها الحكومة من النهضة وقلب تونس أساسا لا سيّما وأن مهلة الشهر الأول شارفت وقتها على النهاية . ولكن فوجئ هؤلاء بإطلاق جولة جديدة من المشاورات مع الحزبين المذكورين قد تُفضي إلى إقناعهما بالمشاركة خاصة إذا حظيت مطالبهما الأساسية بالقبول.

ولكنّ السّؤال الذي يجدر أن يُطرح في هذا السياق هو : لماذا استؤنفت المحادثات مع التيّار وحركة الشعب في الوقت الذي كان بالإمكان المضي في تشكيل الحكومة وإعلانها وعرضها على البرلمان ونيل ثقته بأغلبية مريحة ؟ وهل تمّ ذلك بإرادة وحرص من رئيس الحكومة المكلف أم برغبة من الحزب الأغلب الذي رشّحه وبعض المقربين منه ؟

يبدو أنّ النقاشات حول المرشّحين لتولّي حقايب وزارية كانت قد تقدّمت أشواطاً وأنّ

رئيس الحكومة المكلف نظر في عدد من السّير الذاتية للكفاءات التي يُمكن أن تُشارك فيها، ثمّ وقع إيقاف هذه النقاشات واستئناف المحادثات مع التيّار وحركة الشعب. والظاهر أنّ هذا الموقف لم يترك قيادات حزب «قلب تونس» مكتوفي الأيدي، إذ شرعوا في القيام بمساع من أجل تكوين ائتلاف برلمانيّ قد يضمّ كتلة الإصلاح الوطنيّ وكتلة المستقبل بحثا عن ثقل أهمّ وحجم أكبر وتحسّبا لكلّ محاولة تهدف إلى عزله وتحجيم دوره في السّاحة السياسيّة.

والثّابت أنّ الحبيب الجملي حريص على أن يكون لحكومته عمق إصلاحيّ «ثوريّ»، إلا أنّ بقاء التيّار وحركة الشعب خارج الائتلاف الحكوميّ من شأنه أن يُضعف هذا البُعد المرجوّ ويُقلّل من صدق عزم الحكومة على الإصلاح الحقيقيّ . ولكن هل إنّ المنتسبين بمشاركة التيّار في الحكومة سيقبلون بشروطه التي وُصفت بأنها تعجيزيّة ومُبالغ فيها أم إنهم يُريدون وزراء التيّار ولا يُريدون

برنامج الإصلاحيّ ويرغبون في حضوره ولا يرغبون في فاعليّته وتأثيره ؟

ومهما يكن من أمر فإنّ كثيرا من المعطيات تُشير إلى أنّ هذه الحكومة ستُولد من رحم جملة من المعادلات الصّعبة :

• المعادلة الأولى تهتمّ علاقة النهضة بقلب تونس ، ورهانها المحافظة على التقارب بين الحزبين رغم إمكان استبعاد قلب تونس من المشاركة في الحكومة . فلا يخفى أنّ بين الحزبين تحالفا تكتيكيّا – لا استراتيجيّا – ظهر في انتخاب رئيس مجلس النّواب ونائبته الأولى ، ورغم القول داخل حركة النهضة بانفصال المسار البرلماني عن المسار الحكوميّ فإنّ قيادات الحركة تقدّر الحجم العدديّ لنواب قلب تونس ولا يبدو أنّها مستعدّة لتجاهله خاصة وأنّ بعض مقامات التصويت في عمل البرلمان تحتاج أكثر من مجرد الأغلبية وقد تتطلب أصوات ثلثي النّواب (145).

• المعادلة الثّانية ذات صلة بالرّقم الصّعب في المشاورات وهو التيّار الديمقراطيّ ، ورهانها إيجاد الصيغة المناسبة لإقناع التيّار بالمشاركة والقبول بشروطه دون المجازفة بوضع أهمّ مفاصل الحكومة ووزاراتها الحسّاسة بيد حزب واحد.

• المعادلة الثّالثة قد لا تعني رئيس الحكومة المكلف بشكل مباشر ، ولكنّها تعني الأطراف السياسيّة الأساسيّة في تشكيل الحكومة وهي تتجاوز رهن مستقبل المشهد السياسيّ بأكمله ، ورهانها طبيعة العلاقة بين النهضة وشركائها المحتملين في الحكم (التيّار وحركة الشعب) . فلا خفاء أنّ هذين الحزبين أصبح لهما منذ الانتخابات الأخيرة بريق خاص اكتسباه بفضل ما أبدياه من مواقف مبدئية خلال المشاورات وأثبتا أنّهما ليسا طلاب سلطة وهما لا يحرصان على المناصب والحقايب الوزاريّة ولا يتعاملان بمنطق الغنيمة بل

انعقد خطابهما على قضايا جوهرية تهتمّ الحكومة والإصلاح والارتقاء بالواقع السياسيّ والتّنمويّ . ومن ثمّ فإنّهما باتا منافسين حقيقيّين للنهضة، وهما قادران على احتلال صدارة المشهد وافتكاك زمام المبادرة منها والفوز عليها في استحقاقات انتخابية قادمة، وهي معطيات قد تجعل تعايش هذين الحزبين مع النهضة في الحكم تعايش منافسة وصراع خفيّ لا تعايش تكامل وتعاون.

والمحصّل أنّ الحكومة المرتقبة قد تظهر ملامحها في قادم الأيام وقد تتشكل قبل نهاية المهلة الثّانية التي طلبها رئيس الحكومة، ولكنّ ذلك لن يكون دون توضيحات من هذا الجانب وذلك ودون تنازلات «مؤلمة» من بعض الأطراف ودون تداعيات مستقبلية لا يُمكن التنبؤ بها . أمّا رئيس الحكومة المكلف فهو على ثقة كاملة بأنّه سيصل بفريقه إلى برّ الأمان. **1**

ح.د.

الحبيب الجملي : حياته ومسيرته

هل من الصدفة أن يجمع الحبيب الجملي في هويّته (اسمه ولقبه العائليّ ومسقط رأسه واختصاصه الفلاحيّ) ما يُحيل على ثلاثة رموز تونسيّة معروفة ؟ فاسم « الحبيب» اختاره له والده الذي حرص على اعطائه اسم الحبيب بورقيبة محرّر البلاد من الاستعمار وباني الدّولة الحديثة، و«الجملي» لقبٌ ينسب العائلة إلى وليّة صالحة نزحت من مدينة جَمال إلى منطقة الكِبارة من معتمدية سيدي علي بن نصر الله وهي «للا فاطمة الجماليّة» شقيقة «أمّ الزّين الجماليّة» ذائعة الصيت، أمّا مسقط رأسه وشغفه بالفلاحة فيشترك فيهما مع المرحوم مصطفى الفيالي أصيل منطقة نصر الله وقد كان وزيرا للفلاحة حين وُلد الحبيب الجملي في 28 مارس 1959.

الحبيب الجملي هو نتاج خيارات دولة الاستقلال ، فيفضل سياسة تعميم التّعليم ونشره على أوسع نطاق التي شرع في تطبيقها منذ خمسينات القرن الماضي شُيّدت مدرسة قريبة جدا من سكنى العائلة في الكِبارة الرّيفيّة التي تبعد عن مركز المعتمدية 20 كلم، وهناك تلقى تعليمه الابتدائيّ ، وهناك أيضا شغف بالمرسح ومارسه في الإطار المدرسيّ. ولم يكن له ، وهو ابن بيئة فلاحية

صرف ، إلا أن يتعلّق بالأرض ويُولع بالفلاحة ، فالعائلة كانت تملك قطعة أرض ورزقها متأّت من العمل الفلاحيّ أساسا . ورغم قلّة ذات اليد فإنّ العائلة كانت حريصة على تعلم أبنائها فحفّزتهم على التّفوق والتميّز في وقت كان الأجوار يحملون أبناءهم على ترك مقاعد الدّراسة ويدفعونهم إلى العمل بحثا عن لقمة العيش.

أنهى الحبيب الجملي دراسته الابتدائية بمدرسة الكِبارة والتحق بمعهد المنصورة في مدينة القيروان ، ورغم ما أبداه من نجابة وتفوق فإنّه قرّر أن يختار عند التّوجيه مسلكا دراسيا قصيرا حتّى يختصر مراحل التّعلّم ويُساعده على الإيفاء بنفقات العائلة، وهو ما رفضه أساتذته ودفعهم إلى محاولة إثناؤه عن عزمه، ولكنه شرح لهم أسباب اختياره فلم يبق أمامهم إلا أن يستنجزوه وعدا بالرجوع إلى الدّراسة عندما تزول الأسباب المانعة من المضيّ فيها إلى أقصى الطّموح .

وهكذا تحوّل من معهد المنصورة الثّانوي إلى المعهد الفلاحيّ بمقرن من ولاية زغوان حيث أحرز سنة 1980 شهادة مهندس مساعد وكان أوّل دُفعته من أهلّه للحصول على جائزة رئيس الجمهوريّة. ولم تقف المسيرة عند هذا الحدّ، فقد أتاح له تفوّقه الانتساب إلى التّعليم العالي الفلاحي فدرس الاقتصاد

الفلاحيّ ثمّ اختصّ خلال سنوات المرحلة الثّالثة في الاقتصاد والماليّة.

وقد أهله هذا التّكوين المختصّ لأن يكون من الإطارات العليا بوزارة الفلاحة ثمّ بدوان الحبوب، ومكّنه ما اكتسبه من تجربة صلب هذه المؤسّسات من أن ينضمّ إلى لجنة إعداد المخطّطات الخماسيّة للتّنمية التي أحدثتها الحكومة. هذا فضلا عن عضويّة مجالس إدارة عديد الشّركات الوطنيّة الفلاحيّة .

استقال الحبيب الجملي من العمل في القطاع العامّ سنة 2001 وأسس شركة تجاريّة خاصّة. ولم يُعرف له قبل 14 جانفي 2011 نشاط سياسيّ يُذكر ولكن تمّ تداول اسمه خلال المشاورات التي سبقت تكوين حكومة حمّادي الجبالي أواخر 2011 ، ويبدو أنّ شخصا من الدوائر المحيطة بالجبالي أو المقربين منه آنذاك كان زميلا سابقا للجملي فانضمّ إلى الحكومة بوصفه من التّكنوقراط حيث عين كاتب دولة للفلاحة وأسندت إليه الملفّات التقنيّة في الوزارة.

قضّى سنتين في حكومة التّرويكا عاد بعدها إلى القطاع الخاصّ، وقد أكسبته تجربته في هذا القطاع روح المبادرة

وقدرة على التّخفّف من أعباء البيروقراطيّة وإدراكا لمزايا العمل الحرّ الذي يمتاز غالبا بالمرونة والتّجاعة والسّرعة. لذلك هو من الذين يُؤمنون بالشّراكة بين القطاع العامّ والخاصّ ويعتبر أنّها قادرة على أن تكون عنصر دفع للعمل التّنمويّ.

اختاره مجلس شوري حركة النهضة رئيسا للحكومة بعد جدل طويل في السّاحة السياسيّة بشأن الانتماء السياسيّ للشّخصيّة التي ستشكّل الحكومة القادمة، فبعد إصرار النهضة على أن يكون رئيس الحكومة من داخل الحركة وتمسك عديد الأطراف بضرورة اختيار شخصيّة مستقلّة قادرة على التّجميع وملمّة بالملفّات الاقتصاديّة وقبح الاختيار على الحبيب الجملي الذي يُؤكّد دوما أنّه مستقلّ ولا ينتمي إلى أيّ حزب سياسيّ ويرى فيه البعض شخصيّة قريبة من حركة النهضة.

وهو يقود الآن مشاورات عسيرة وشاقّة من أجل التّوصّل إلى تشكيل الحكومة المرتقبة ، ويتطلّب ذلك خصالا عديدة وقدرة على الإقناع والتأثير . هو رجل فلاح واقتصاد وهما قطاعان يُعلّمان الصّبر والسّطارة ، فهل يكون رجل توافقات يقدر على تجاوز العراقيل وتخطّي العقبات وتقريب وجهات النّظر المتباعدة؟ **1**

الثقافة هي الحل



رأي

• بقلم عبد العزيز قاسم

1

الباقي قائد السبسي أبرز وجوه ما بعد «الثورة». كان رجل الساعات الحرجة. ترأس الحكومة وقاد السفينة في بحر من الأحوال ونظم أول انتخابات حرة ثم سلم الحكم لمن أوصلنا إلى ما نحن فيه وبعضا ساحر أسس حزبا احتل المرتبة الأولى في ثاني انتخابات تشريعية وبه ارتقى إلى سدة الرئاسة وبالرغم من أنه لم يُوفَّق في انتهاجه سياسة التوافق وبالرغم من أنه ترك حزبه يتمزق ويتآكل إلى درجة الاضمحلال، ملأ الكرسي وشغل الناس سلبا وإيجابا وأشبعناه مدحا ودمًا. وكان له على الأخص حضور مؤكّد في المحافل الدولية واصل به الإشعاع البورقيبي، ولمّا توفي شيعه الجميع في موكب مهيب. وما هي إلا أسابيع، وفي غمرة انتخابات مشبوهة، نسيناه ولم يعد شيئا يذكر أو يكاد، فما أقصر ذاكرة هذا الجيل القاصر وما أطول لسانه!

2

في هذا الجوّ الجاحد، كيف لا نتمنّى للاتحاد العام التونسي للشغل مبادرته لتكريم السيد محمد الناصر الذي قام بمهام رئاسة الجمهورية خير قيام وكان لحكمته في تصريف الشؤون المعقّدة وفي ملء الفراغ الخطير، أطيب الأثر في إضفاء الكثير من السلاسة على مجريات الأحداث المتقلقلة الشائكة. كان المفروض أن يكرمه مجلس النواب الذي ترأسه بكفاءة عالية وبصبر أيّوب. وما اختيار الاتحاد ليوم ذكرى استشهاد فرحات حشاد لتكريم السيد محمد الناصر إلا تكريس للوفاء تجاه الأوفياء فلقد كانت علاقة الرجل بالمنظمة الشغيلة طوال اضطلاعهم بمهام وزارة الشؤون الاجتماعية وطيدة متجانسة، وظلّ على تفهمه وانحيازه للمطالب النقابية إلى نهاية مسؤولياته. شكرا للاتحاد على هذه اللفتة الحضارية في زمن عزّ فيه تقدير من يستحقّ التقدير، ودام سندا عتيدا ثابتا للوطن رغمنا عن تهجمات المغرضين.

3

فيما عدا هذه الإيجابيات التي لا يستهان بها، أرى ما أرى وأسمع ما أسمع فتحضرنى كلمة شهيرة قالها الزعيم سعد زغلول لزوجته ورفيقة نضاله صفية مصطفى فهمي، عندما شعر بالإخفاق في النهوض بالشعب إلى مرتبة الوعي والعقلانية: «ما فيش فايدة يا صفية». نحن في تونس نخترل العبارة بقولنا «زايد» وكذا أقول بعد إسهام مكثف في مجالات التربية والثقافة والاتصال.

4

لقد مرّ شهران كاملان على نهاية مارا تون انتخابي مرهق ومكلف في ثلاثة فصول اتّسمت بكثير من الترهات والملابسات والتلاعبات الإعلامية تحرك خيوطها أياد داخلية ووكالات خارجية لا عهد لها ولا ميثاق. مرّ شهران ولم تزل بإصبعي بقية حبر تذكريني بأنّي وقفت بالصفوف وخلوت واخترت وانتخبت ولم أعد إلى بيتي فرحا مسرورا كما كان يقول أطفال المدارس. أتأمل في نتائج التشريعية فلا أصدق. فالمفروض في مسيرة الأمم الحضارية أنها تسير من حسن إلى أحسن أو من سيء إلى الأقل سوءا. لم أكن راضيا عن التركيبة الماضية إذ لم تكن خالية من الجلافة وها أنا أترحم عليها بمزيد من الأمل. ففي التركيبة الجديدة رهوط أتعف عن نعتها بما تستحقّ، فيها روابط حماية الثورة السيئة الذكر، فيها ما هو أدهى من السلفية، فيها أنصارها ومحاموها، وفيها من الأعداء من يرى نفسه أولى بتشكيل الحكومة، وفيها جهل بالأجديات في مختلف الميادين.

5

ويقول حديثو العهد بالديمقراطية: يجب احترام نتائج الصندوق. أنا أتحمّل تلك النتائج ولا أحترمها بحال من الأحوال فأنا منخرط بالحزب الأعظم، حزب الثقافة. «ما كنت أحسبني أحيا إلى زمن» تنهار فيه المنظومة التربوية يدخلها الأمي فيتخرج منها جاهلا يحمل شهادات عليا. رحم الله زمانا كان الناس يتخذون فيه أبا العلاء أسوة وإماما وهو القائل المتباهي عن جدارة:

ما مرّ في هذه الدنيا بنبو زمن
الأوعندي من أخبارهم طريف
كما كنا نردّد ونتمثل بأبي الطيب القائل فيما قال:
من مبلغ الأعراب أني بعدها
شاهدت رسطاليس والإسكندرا
وسمعت بطليموس دارس كتبه
متملّكا متبديا متحضرا

لطالما كنا نتوسّع في شرح هذه الأبيات وصولا إلى نتيجة حاسمة هي أنّ الذي لا يعرف كبار المفكرين يصحّ فيه استعمال ضمير غير العاقل ولا يغرّنكم اليوم أنهم خريجو جامعات. ضمير غير العاقل يصحّ في ثلاثة أرباع السياسة التي تتحكم في الساحة.



Telès
THALASSO & SPA

ROYAL KENZ
THALASSO & SPA

” Notre seul objectif est d'offrir à nos hôtes, férus de thalassothérapie et de soins spa, des protocoles au sommet de la qualité, des soins personnalisés invitant au repos et à la renaissance. ”



MAGIC HOTELS
www.magichotels.com



ROYAL ELYSSA THALASSO & SPA



ROYAL ELYSSA
Thalasso & Spa

MONASTIR

Route touristique Skanès BP75-5060-Monastir - Tél.: (+216)73 520 520 / Fax : (+216)73 520 511
www.thalassa-hotels.com www.royalelyssa.com dg-elyssa@thalassa-hotels.com

Votre bien-être d'abord



كان العصر الوسيط عربيا بامتياز: ابن سينا، الفارابي، الكندي، أبو بكر الرازي، الزهراوي، ابن زهر، ابن طفيل، ابن رشد ... وتطول قائمة العلماء والمفكرين الذين تجاوز إشعاعهم حدود الوطن، ولعل ابن خلدون هو آخر مصباح عربي أضاء العالم. وبعده هبط ليل العروبة الطويل. وعندما يتحدث الأدباء والمفكرون والمؤرخون العرب عن عصور الانحطاط فهم يقصدون فترة تاريخية طويلة هي التي رزح فيها العالم العربي تحت نير الاستعمار العثماني، أي من سنة 1517 إلى 1917: أربعة قرون من التجهيل والتنكيل، من المكوس والنكوس، من المشانق والمخانق.

8

أكرر: إن ما نصلح عليه بعصور الانحطاط يعني الحقبة الزمنية التي أمسكت فيها أيد غير عربية، فضلا عن الاستعمارين الإنكليزي والفرنسي، بمقادير العالم العربي فأقعدته عن المسير نحو التقدم. وها هي ذي إرهابات عودة السحب السوداء القديمة يراها الشاعر بعيني زرقاء اليمامة فيستشرف الأخطار الداھمة أو المتربصة منبها ونذيرا:

يَزْحَفُ الْجَهْلُ رُوَيْدًا فِي نِسَاتِ الْأَعْتَابِ
وَالْيَدُ امْتَدَّتْ إِلَى الْعَقْلِ لِفَكِّ الْأَرْبَابِ
وَالظُّهُورُ أَحْدَوْدَبَتْ تَهْتَرُ شَوْقًا لِلْسِّيَابِ
دَحْرَجُونَا سَحَبًا مِنْ تَحْتِنَا كُلِّ بِسَاطِ
رَجَعَتْ: يَا أَلْفَ أَهْلًا بِعُصُورِ الْأَنْحِطَاتِ

9

مرة أخرى نلقت النظر، على قصره، إلى أن ما يجري في الجزائر ولبنان وبلاد الرافدين واليمن يهمننا لا على سبيل التضامن مع الإخوة فحسب بل باعتبار أن انهيار هذه الدول الشقيقة سيجزئنا حتما إلى المنحدرات التي توشك أن تتدحرج إليها. مصيرنا، شئنا أم أبينا، مرتهن إلى ما تشهده المنطقة من تداعيات. وإذا حلت الفوضى من حولنا نستطيع أن نقول وداعا للديمقراطية التي بها نفاخر ونتبجح.

10

الشعب التونسي متضامن مع الشعب الفلسطيني الشقيق منذ ما يناهز القرن شارك معه في المعارك وقدم ضريبة الدم. وعلى الصعيد السياسي، يكفي أن نذكر بأن الشيخ عبد العزيز الثعالبي كان طوال ثلاثينات القرن الماضي من الزعماء العرب الأوائل الذين وقفوا إلى جانب مفتي فلسطين، الحاج أمين الحسيني، وممن تولوا القيام بدور قيادي في إعداد استراتيجيات الدفاع عن الحق الفلسطيني تجاه المد الصهيوني. وإسرائيل اليوم لا تقتصر على ابتلاع الأرض الفلسطينية والجولان السوري ومزارع شعبة اللبنانية ومزيد من أراضي الأردن، بل إن لها يدا في كل ما يحل بالعالم العربي من مصائب. وما كان لها أن تعربد بهذه الغطرسة والصفافة لولا مساندة الولايات المتحدة المطلقة لها ضاربة الحائط بكل المواثيق والقرارات الأممية. لذلك، وإذا استقرّ عزمننا على إفشال صفقة القرن، فلا ينبغي حصر الهمّ في الكيان الصهيوني، يجب أن نتعداه إلى كل داعميه في المنطقة العربية. فهل نحن قادرون على مواجهة هذا المد الصهيوني ولو بمجرّد اللسان؟ ع.ق.

6

إحدى نائبات «النهضة» في مجلسنا النيابي الجديد الموقر، تجمعيّة تائيّة، أرادت أن تؤكد توبتها فوصفت السيدة عبير موسى ورفاقها بـ«الكلوشارت والباندية» معبرة بذلك صراحة عما تضمه الجماعة وكان على السيدة عبير أن تتجاوز باعتبار أن التي شتمتها لا تحسن اللغة الفرنسية فليس عليها جناح. أما أن تأخذ السيدة سامية عبو باقة الشوك من يديها وتكرّر نعت عبير بـ«الكلوشارة» فأمر يستحق التصويب اللغوي. كلمة clochard، معناها متشرّد أو متسكّع، واستعمالها في الصدد جهل قبل أن يكون سوء أدب، فإذا كنتم عاجزين عن الشتم بالعربية يا دعاة التمسك بالهوية والأصالة حاولوا أن تتحرّروا في استعمال مفردات اللغة الأجنبية.

7

على هامش «الكراكوز» الجاري بالمجلس رفع بعض النواب في وجه عبير موسى شعار رابعة العدوية. لغة الأصابع معروفة فرقع السبابة والوسطى منفرجين في شكل حرف V علامة الانتصار، أما رفع كل الأصابع بطي الإبهام فهو يشير إلى ميدان رابعة بالقاهرة بعد أن أخلاها الجيش المصري ممّن اعتصموا بها وأذاقوا سكاّن الحيّ الأمّرين، غداة عزل الرئيس محمد مرسي العياط. وليس لرابعة العدوية صلة بالإخوان لا من قريب ولا من بعيد. فهي شاعرة عراقية متصوّفة ولدت وعاشت في البصرة في القرن الثاني للهجرة حيث أسست مذهب الحبّ الإلهي. والمسجد الذي يحمل اسمها بالقاهرة أنشئ سنة 1963 في عهد عدو الإخوان الألد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر.

من قصائد رابعة العدوية الشهيرة ما غناه العديد من المطربين والمطربات وعلى رأسهم أم كلثوم:

عَرَفْتُ الْهَوَى مُدْعَرَفْتُ هَوَاكَ
وَأَغْلَقْتُ قَلْبِي عَمَّنْ عَدَاكَ
وَقُمْتُ أَنَا جِيكَ يَا مَنْ تَرَى
خَفَايَا الْقُلُوبِ وَلَسْنَا نَكَارَا
أَجْبُكَ حُبِّينِ حُبِّ الْهَوَى
وَحُبًّا لِأَنَّكَ أَهْلٌ لِدَاكَ
فَأَمَّا الَّذِي هُوَ حُبِّ الْهَوَى
فَشَغَلِي بِذِكْرِكَ عَمَّنْ سَوَاكَ
وَأَمَّا الَّذِي أَنْتَ أَهْلٌ لَهُ
فَكَشْفُكَ لِي الْحُجَبِ حَتَّى أَرَاكَ
فَلَا الْحَمْدُ فِي ذَا وَفِي ذَاكَ لِي
وَلَكِنْ لَكَ الْحَمْدُ فِي ذَا وَذَاكَ

إنّ التي تمتلك مثل هذا النفس الشعري ومثل هذه النفحات الروحية ما كانت لتقبل أن يُرَجَّح بها في مهاترات إسلاموية ولا أن يُرَمَّز إلى اسمها بهذا الشكل المبتذل.

8

لقد عرفت الحضارة العربية الإسلامية عصورا ذهبية لمعت فيها أسماء في الأدب والفلسفة ومختلف العلوم، بل إنّها عرفت الأنوار قبل عصر النهضة الأوروبية.



رزيف الوسلاتي

المياه المعدنية المعلبة
والاستشفاء بالمياه

أكثر من

1000

مليون دينار
مداخيل سنويًا



يحتل قطاع الاستشفاء بالمياه واستعمالاته المختلفة مكانة هامة في النشاط الاقتصادي والاجتماعي والصحي في تونس بحيث تنتشر الحمامات المعدنية في جل ولايات الجمهورية لذلك يستقطب القطاع مئات آلاف الحرفاء من تونسيين وأجانب. وعلاوة على أنه نشاط تقليدي في الذاكرة الشعبية التونسية فقد شهد في السنوات الأخيرة تطورا ملحوظا وانتعاشة جلية بفضل تنوع أنشطته وتزايد حجم استثماراته وثبوت فوائده العلاجية والوقائية.

ولمزيد تسليط الضوء على هذا القطاع كان «الليدرز» العربية هذا الحديث مع السيد رزيق الوسلاتي مدير عام الديوان الوطني للمياه المعدنية والاستشفاء بالمياه ونائب رئيس المنظمة العالمية للمياه المعدنية وعلم المناخ.

يعتبر

قطاع السياحة الاستشفائية من أهم القطاعات على المستويات الاقتصادية والاجتماعية والصحية بفضل تفرده بطابع الوقاية والعلاج والترفيه من جهة، ولما يظطلع به من دور هام في تنوع المنتج السياحي واثرائه وفي دعم التنمية الجهوية من جهة أخرى، إذ نجد أن نشاط العديد من الجهات التونسية على غرار حمام بورقيبة وقربص والزربية وحمام بنت الجديدي وتوزر وحامة قابس يتمحور حول المحطات الاستشفائية والحمامات المعدنية الموجودة بها والتي خلقت حركة اقتصادية واجتماعية بهذه الجهات ساهمت في تحسين مستوى عيش المواطن وتثبيت متساكني هذه المناطق بها من جهة ومن جهة أخرى الرفع من القدرة التنافسية لهذه المناطق ودعم ميزاتها التفاضلية. كما يشكل النشاط الاستشفائي رافدا هاما من روافد دفع التنمية الجهوية والمحلية خصوصا والتمييز الإيجابي للجهات فهو محرك لعدد القطاعات والأنشطة الأخرى (النزل والمطاعم والترفيه والتجارة والصناعات التقليدية) إضافة إلى تلك المرتبطة مباشرة بنشاط المحطات الاستشفائية (الطب والتمريض والتدليك الصحي والأنشطة الإدارية) كما أنه يمثل مصدرا هاما لموارد المجالس الجهوية والمحلية بالمناطق التي يوجد بها هذا النشاط. ويساهم قطاع الاستشفاء بالمياه في تونس في خلق أكثر من 6400 موطن شغل فيما يبلغ عدد مؤسسات التكوين الحالية الموجهة إلى هذا القطاع 54 مؤسسة تكوينية منها 11 مؤسسة عمومية. كما يلعب المنتج الاستشفائي في تونس دورا صحيا

هاما يندرج في إطار منهج الطب البديل والذي أثبتته عديد الدراسات الطبية حول التأثيرات الإيجابية لاستعمال المياه المعدنية أو مياه البحر على صحة الإنسان من خلال التخفيف من تأثيرات الأمراض المزمنة والحد من الأضرار والعواقب الوخيمة لهذه الأمراض، إضافة إلى أن التداوي بالمياه المعدنية يساهم في معالجة التأثيرات لهذه الأمراض ويقلص من احتمال إصابة الجسم بعوارض الأمراض المزمنة وبالتالي التقليل من استهلاك الأدوية.

وعلى صعيد آخر وبالنظر إلى التحسن الملحوظ في القدرة الشرائية للتونسي واعتبارا لتجدر تقاليد الاستحمام في تونس، أصبح المنتج الاستشفائي عنصرا أساسيا لتنمية السياحة الداخلية حيث تستقطب المحطات الاستشفائية والحمامات المعدنية الملايين من التونسيين سنويا يتوافدون عليها فرادى أو عائلات بغرض الترفيه والتمتع بمختلف مكونات المنتج والاستفادة من منافع المياه المعدنية.

أهم مهام الديوان الوطني للمياه المعدنية والاستشفاء بالمياه

كما أصبح المنتج الاستشفائي التونسي قبلة الملايين من السياح الأجانب وهو ما جعل تونس وجهة للسياحة الاستشفائية بامتياز باعتبار جودة الخدمات المقدمة بمختلف مراكز الاستشفاء بالمياه وكفاءة الموارد البشرية العاملة بها وهو ما كان له الانعكاس الإيجابي على مداخيل العملة الأجنبية المتأتية من القطاع السياحي.

تبعاً لما أكدته نتائج الدراسة التي أعدتها الهيئة العليا الأوروبية المشتركة للسياحة والتشغيل من أن نشاط السياحة الاستشفائية يشهد تطورا على المستوى العالمي وأن هذا التطور سيتواصل في قادم السنوات خاصة ببلدان أوروبا وفي الدول المتوسطة بسبب ارتفاع معدل حياة السكان بالمنطقة والاهتمام المتزايد بالصحة واللياقة ومقاومة الضغط النفسي وبالنظر للتأكد من



الدور الاستراتيجي لهذا القطاع وللنجاحات التي حققها الديوان منذ تاريخ إحداثه سنة 1975 أقرت الدولة توسيع مجال تدخله ليشمل علاوة على قطاع المياه المعدنية الساخنة والباردة قطاعي الاستشفاء بمياه البحر وبالمياه العذبة حيث أوكلت إليه مهمة تنفيذ سياسة الدولة في هذا المجال وذلك من خلال المساهمة في وضع برامج ومخططات تنمية قطاع الاستشفاء بالمياه وقطاع المياه المعلبة واتخاذ التدابير اللازمة لتطبيقه ومتابعة تنفيذ برامج تأهيل قطاع الاستشفاء بالمياه والمياه المعلبة ومخططات إرساء أنظمة الجودة والقيام بجميع الدراسات الفنية والاقتصادية والمالية والبحوث العلمية في مجال نشاطه أو تكليف من يقوم بها والنهوض بالتكوين المهني والبحث العلمي وإرساء برامج تكوين في قطاع الاستشفاء بالمياه وقطاع المياه المعلبة والسهر على تطبيقها بالتعاون مع الهياكل المعنية علاوة على تأطير المستثمرين والإحاطة بهم في جميع المراحل المتعلقة بإحداث واستغلال المشاريع وتقديم المساعدات الفنية وغيرها من الأشغال الضرورية لإنجاز مشاريعهم وحسن استغلالها وصرف منح الاستثمار والامتيازات المسندة لفائدتهم ومتابعتها. واقتراح وتنفيذ برامج لصيانة وحماية منابع المياه موضوع الأنشطة الراجعة له بالنظر بالتنسيق مع الوزارة المكلفة بالموارد المائية والوزارات المعنية بقطاع الاستشفاء بالمياه وقطاع المياه المعلبة ومراقبة قطاع الاستشفاء بالمياه وقطاع المياه المعلبة في جميع المراحل واتخاذ التدابير المناسبة بالتنسيق مع الهياكل العمومية

الأخرى المختصة والترويج للقطاع وتشجيع التعاون الدولي وتبادل الخبرات في مجال نشاطه.

مكونات المنظومة الاستشفائية بالمياه

تتكون المنظومة الاستشفائية بالمياه من ثلاثة أنشطة رئيسية وهي الاستشفاء بالمياه المعدنية والاستشفاء بمياه البحر والاستشفاء بالمياه العذبة. ففي قطاع الاستشفاء بالمياه المعدنية تزخر بلادنا بأكثر من مائة منبع مياه معدنية يستغل البعض منها في تزويد 5 محطات استشفائية بكل من قربص بولاية نابل وجبل الوسط بولاية زغوان وحمام بورقيبة بولاية جندوبة وجربة بولاية مدين وحمام بولعابة بولاية القصرين، و46 حماما معدنيا مصنفا وطنيا أو جهويا أو محليا. وقد استقطبت المحطات الخمسة خلال سنة 2018 ما يناهز 50.000 حريف محقة رقم معاملات يقدر بـ 5 مليون دينار. وبطاقة تشغيلية تناهز 600 موطن شغل مباشر. في حين استقطبت الحمامات المعدنية خلال سنة 2018 ما يربو عن 4,5 مليون حريف أغلبهم من التونسيين، محقة رقم معاملات يقدر بـ 2,3 مليون دينار، وبطاقة تشغيلية بحوالي 300 موطن شغل مباشر.

و أما على مستوى قطاع الاستشفاء بمياه البحر فإن عدد المراكز يبلغ 60 مركزا توفر حوالي 2000 موطن شغل مباشر وبلغت طاقة استيعابها الجمالية

6700 حريف يوميا، استقطبت خلال سنة 2018 ما يناهز 100 ألف وافد، أغلبهم من الأجانب بنسبة 95 % محقة رقم معاملات بـ 10 ملايين دينار.

يشمل نشاط الاستشفاء بالمياه العذبة من جهته 340 مركزا موزعا على كامل تراب الجمهورية منها 288 مركزا موجودا داخل النزل والبقية 52 مركزا مستقلا داخل المدن، استقطبت خلال سنة 2018 ما يناهز مليون حريف، بفضل طاقة استيعابها الجمالية المقدرة بحوالي 5000 حريف يوميا. محقة رقم معاملات يقدر بـ 100 مليون دينار. كما توفر هذه المراكز 3.400 موطن شغل مباشر. ويقدر مبلغ الاستثمارات المنجزة بحوالي مليار.

الإشعاع الدولي لتونس و للديوان

تحظى تونس بمكانة مميزة على الصعيد الدولي في هذا المجال وهو ما يتجلى أولا من خلال انتخاب تونس في خطة نائب رئيس المنظمة العالمية للمياه المعدنية وعلم المناخ ممثلة في شخص المدير العام للديوان الوطني للمياه المعدنية والاستشفاء.

وثانيا من خلال إسنادها شهادة تقدير من المنظمة العالمية للمياه المعدنية وعلم المناخ اعترافا منها بزيادة تونس في هيكلة هذا النشاط ونجاحها في تركيز وإرساء منظومة تشريعية قوية لتنظيم قطاع الاستشفاء بالمياه من خلال إصدار نصوص قانونية تضبط شروط إحداث واستغلال مراكز الاستشفاء بالمياه بمفهومها الواسع، وثالثا من خلال إعلان جربة عاصمة متوسطية للاستشفاء بالمياه سنة 2014، ورابعا من خلال اعتماد المنظمة الدولية للتقييس مواصفة الجودة التونسية 126.05 الخاصة بنشاط الاستشفاء بالمياه في إعداد ونشر المواصفة الدولية إيزو 17680 إذ ولأول مرة تعتمد المنظمة الدولية للتقييس مواصفة عربية إفريقية. وتشكل هذه المواصفة قيمة مضافة لتأهيل قطاع الاستشفاء بمياه البحر باعتبار أن هذه المواصفة تتمثل مرجعا معترفا به دوليا في الإشهاد بالمطابقة «Certification» لمراكز الاستشفاء بمياه البحر، حيث بادر الديوان وبالتعاون مع المعهد الوطني للمواصفات والملكية الصناعية بوضع برنامج عمل مشترك لبلوغ مرحلة الإشهاد بالمطابقة لمراكز الاستشفاء بمياه البحر حسب

تهدف إلى توفير الإطار التشريعي المنظم لإنجاز مشاريع الإستثمار وقد تمّ في هذا الإطار إعداد 6 دراسات لأمتلته التهيئة: قريص والحامة وبننت الجديد وبيضاة وحمّام ملاق و بولعابة.

الدراسات الاستراتيجية لتنمية القطاع

وحمّام ملاق من ولاية الكاف وعلى مستوى منطقة جربة من ولاية مدين وحمّام سيالة من ولاية باجة وحمّام بورقيبة من ولاية جندوبة.

• دراسات تهيئة المناطق

التنمية في القطاع

في إطار توفير الأراضية الملائمة للاستثمار يسعى الديوان إلى وضع بنك معطيات على ذمة المستثمرين وذلك من خلال القيام بالدراسات الفنية والدراسات الاستشرافية وقد تولّت المصالح المختصة القيام بعدد من الدراسات والتي يمكن أن أذكر منها:

- الدراسات الهيدروجيولوجية والجيوفيزيائية حيث تمّ إنجاز 32 دراسة على مستوى المناطق الداخلية للبلاد لضبط المخزون المائي وتحديد مناطق الحماية وبلورة المقترحات الكفيلة بتحسين دفق المياه،

- دراسات تحسين قابلية التقاط المياه وتهدف إلى إعداد الملفات التنفيذية للأشغال الضرورية لتحسين دفق المياه الحارة. وقد تمّ إنجاز مثل هذه الأشغال على مستوى 7 مناطق وهي حمّام بيضاة من ولاية سليانة وحمّام بزاز من ولاية الكاف وحمّام الصالحين من ولاية جندوبة

تنزيل وتسويق التطبيقات المحمولة.

حجم الاستثمار في القطاع

تبعاً للإجراءات المدعّمة التي قام بها الديوان الوطني للمياه المعدنية والاستشفاء بالمياه في إطار مهامه الرامية إلى دفع نسق الاستثمار في القطاع، سجّل هذا الأخير بداية من سنة 2010 استثمارات في قطاعات الاستشفاء بالمياه المعدنية الحارة والمعالجة بمياه البحر والاستشفاء بالمياه العذبة ما قيمته 380 مليون دينار.

وبالتوازي، تولّت الدولة القيام باستثمارات لتدعيم مكوّنات البنية الأساسية بما قيمته 25 مليون دينار لإنجاز الطريق المؤدية إلى عين اقطر وتهيئة الطريق المؤدية إلى حمّام ملاق مع برمجة اعتمادات تقدر بـ 110 ملايين دينار لإنجاز القسط الثاني من الطريق المؤدية إلى مدينة قريص بالإضافة إلى الشروع في إنجاز مكوّنات البنية الأساسية لمنطقة الخبايات من ولاية قابس.

الدراسات ومخطّطات

ديمغرافيا واقتصاديا. وقد كان لدعوة رائد الفضاء الروسي «جنادي بالديكا» في نوفمبر 2010 الأثر الكبير في استقطاب أعداد هائلة من السياح الروس بعد أن تداولت وسائل الإعلام الروسية خبر تمّتعته بفترة نقاهة في أحد مراكز الاستشفاء بمياه البحر في تونس إثر قضائه مدة مطوّلة في الفضاء.

كما راهن الديوان على استغلال الإمكانيات المتوفّرة في مجال التكنولوجيات الحديثة وذلك بالاعتماد على التسويق الرقمي لقطاع الاستشفاء بالمياه بوضعه على الخطّ بؤابة الاستشفاء بالمياه وهي تمثّل فضاء تعريفها لمختلف مراكز الاستشفاء بالمياه بتونس وتتضمّن فضاء تفاعليا بين الإدارة والمهنيين يوفر خدمات إدارية موجهة إلى المؤسسات المتعاملة معها وذلك في إطار تبسيط الإجراءات الإدارية. كما سعى الديوان إلى تطوير تطبيقه المحمولة حول التعريف بقطاع الاستشفاء بالمياه يمكن تحميلها مجانا عبر الهواتف الجوالة وأجهزة الكمبيوتر اللوحية. وتعدّ هذه التطبيق أول دليل الكتروني متكامل يقدّم معطيات تعريفية حول مراكز الاستشفاء بالمياه كما توفّر خدمة الحجز عن بعد وسيتمّ وضعها قريبا على الخطّ بمنصّات

المواصفة الجديدة وقد تمّ الشروع في تجسيم هذا البرنامج من خلال اختيار أحد مراكز الاستشفاء بمياه البحر لإخضاعه لعملية تدقيق للحصول على شهادة المطابقة ليكون بذلك أول مركز في العالم يحصل على هذه الشهادة ويكون بالتالي نموذجا ومنطلقا لتعميم التجربة على باقي المراكز. كما يعدّ الحصول على هذه الشهادة وسيلة هامة من وسائل التسويق على المستوى الوطني والدولي لهذه المراكز.

السياسة الترويجية للقطاع

في إطار مهمة الترويج للمتوجات في القطاع يعتمد الديوان سياسة متعدّدة القنوات omni-canal بالاعتماد على كلّ الإمكانيات المتاحة أولها الدبلوماسية الاقتصادية، حيث أصبح الديوان ينظّم مشاركاته الدولية في مختلف التظاهرات والمعارض التي تقام سنويا بالتنسيق مع ممثليتنا الدبلوماسية بالخارج. وقد بدأت هذه السياسة تعطي نتائج ملموسة. وتكفي الإشارة إلى ما تمّ إنجازه على مستوى السوق الروسية إذ كان الديوان سباقا في الاهتمام بهذه السوق نظرا لاتساع حجمها

قربص : متعة واستشفاء على ضفاف البحر

فيلا «كاربونتيني» الشامخة بين الصخور واحدة من المعالم المميّزة بالمدينة ويعود تاريخ بنائها إلى بداية القرن العشرين من طرف الفرنسي Edmond Carpentier (توفي سنة 1920) وكان قدم إلى تونس سنة 1888 ليعمل بالصحافة ويؤسس اليومية التونسية الناطقة بالفرنسية La dépêche Tunisienne وهو صهر العالم الفرنسي «لويس باستور».

عديدة هي المحطات الاستشفائية الكبرى والمهيأة والتي تتوفر فيها المواصفات والتجهيزات الضرورية المطلوبة ويفد عليها عديد الزوار سنويا ومنها محطة قريص... تجمع مدينة قريص الاستشفائية بين زرقة البحر على ساحلها وخضرة الجبل في محيطها ودفء العيون المائية المتدفقة من باطنها فيأخذ بخارها الجذاب المتصاعد من البحر الأزرق زوارها إلى عالم فسيح من المتعة. وتعتبر قريص إرثا فينيقيا بحماماتها وينابيعها الطبيعية.

هناك اختلاف كبير بين المؤرخين حول تسمية مدينة قريص، ففي حين يذهب بعض المؤرخين إلى أن أصل تسمية قريص يعتبر تحريفا لاسم جزيرة قريص أطلق عليها الرحالة الفينيقيون لتشابه المشاهد الطبيعية بين المنطقتين. يعتبر مؤرخون آخرون أن التسمية مستمدة من الاسم الذي أطلقه الرومان على أعمدتها التاريخية وهو «كاربيس» (Carpis)، التي اندثرت وتمّ نهبها عند انتصاب الحماية الفرنسية في البلاد التونسية سنة 1881.

وتشهد آثار قريص على عراقة الاستشفاء بالمياه المعدنية فيها بفضل عيونها السبع (الصبية وكالاسيرا وأقطر والعتروس والشفاء والعراقة والفكرون)، وقد كانت قبلة البايات و مكان استقرار المعمّرين الفرنسيين. وتعتبر

وقد ارتبط اسم «كاربونتيني» بمدينة قريص إلى درجة اعتقد الناس هناك أنه وليّ صالح و قد كان غيورا على المدينة ويعتبر أنها لا تحظى بالاهتمام اللازم من طرف الإقامة العامة الفرنسية بتونس وأن طبيعة المنطقة كانت تحول دون الوصول إليها بسهولة

فكان يقدّم بشكل دوري مجموعة من التقارير إلى المقيم العام حول ثراء مدينة قريص بمنابع المياه المعدنية. وأسس «كاربونتيني» شركة Compagnie des Eaux Thermales et du domaine de Korbous. وتحت إدارة هذه الشركة تولّى الطبيب Charles Mailliet صهر «كاربونتيني» إدارة المحطة الإستشفائية بقريص تحت تسمية Station Thermale et Climatique d'Hiver وكانت الشركة تمتلك آنذاك أرضا مساحتها 650 هكتارا تقع عليها المحطة الاستشفائية، ونزل Les Thermes و150 فيلا وشقة مزودة بالمياه المعدنية، وملعب تنس، وقاعة سينما، وكازينو للألعاب وقد كانت تقام فيها مسابقات موسمية تحضرها جنسيات مختلفة أساسا من الفرنسيين والإيطاليين القاطنين بالعاصمة التونسية.



باستقلال البلاد التونسية تمّت تونس الشركات العائدة ملكيتها للفرنسيين بمدينة قريص وإخضاع المحطة الاستشفائية لإشراف ديوان المياه المعدنية ابتداء من سنة 1975 وتحولت فيلا «كاربونتيني» إلى إقامة رئاسية يزورها الرئيس الحبيب بورقيبة للاستجمام ويستضيف فيها مجموعة من الشخصيات السياسية الأجنبية، ولم يتم استغلال هذه الإقامة سياحيا رغم أهميتها التاريخية وموقعها الجغرافي ويسعى الديوان حاليا إلى إقامة متحف للمياه المعدنية بها وإدراجه ضمن المسلك السياحي لولاية نابل.

تمّ الانتهاء من إنجاز ثلاث دراسات استراتيجية الأولى متعلّقة بأفاق تنمية نشاط الاستشفاء بالمياه المعدنية والثانية خاصةً بنشاط الاستشفاء بمياه البحر والثالثة تهتمّ بنشاط الاستشفاء بالمياه العذبة وقد مكّنت هذه الدراسات من بلورة خطط وبرامج عمل على المدى القصير والمتوسط والبعيد لتنمية قطاع المعالجة بمياه البحر و قطاع الاستشفاء بالمياه المعدنية وقطاع الاسترخاء بالمياه العذبة.

• **دراسة تأهيل الوحدات النشطة في قطاعي الاستشفاء بالمياه المعدنية ومياه البحر** وذلك من خلال تشخيص وضعية المحطات الاستشفائية والحمامات المعدنية ومراكز الاستشفاء بمياه البحر وبلورة برامج تأهيلها طبقاً للمواصفات والمقاييس الجاري بها العمل.

• **وضع مخطط مديري للمدّخرات العقارية لتنمية مشاريع الاستشفاء** والذي يهدف إلى تحديد المدّخرات العقارية الضرورية لبعث مشاريع الاستشفاء بالمياه المعدنية الحارة وضبط مناطق حماية منابع المياه.

• **كما يقوم الديوان بعدد من الدراسات الأخرى** نذكر منها دراسة سوق نشاط المعالجة بمياه البحر لوضع البرامج الترويجية والتسويقية الملائمة.

الدراسات الطبية

انطلاقاً من تعريف المنظمة العالمية للصحة بأنّ الصحة هي حالة عامّة من الرفاه البدني والنفسي والاجتماعي وليس فقط غياب مرض أو غياب الإقامة بمستشفى يندرج حرص الديوان على إضفاء البعد العلمي على الاستشفاء بالمياه وهو ما يتجلى من خلال القيام بعدد من الدراسات الطبية لإثبات الفوائد العلاجية للمياه المعدنية نخض بالذكر منها دراسة أولى للفوائد العلاجية للمياه المعدنية بسيدي زكري بجرية على أمراض الصدفية ودراسة ثانية لإثبات الفوائد العلاجية على أمراض الغضروف وثالثة لتبيان الفوائد العلاجية لمياه جبل الوسط على أمراض الأم أسفل الظهر . وقد جاءت هذه الدراسات لتؤكد الفوائد العلاجية للمياه المعدنية التونسية. كما أنّها مكّنت من تصنيف مختلف المحطات الاستشفائية

وشكّلت رافداً هاماً للتسويق لها. فعلى سبيل المثال تشتترط النمسا التي تمثّل سوقاً سياحية هامة مثل هذه الدراسات الطبية لتمكين مواطنيها من فرص الحصول على تكفل الصناديق الاجتماعية للعلاج بالمحطات الاستشفائية بتونس.

المشاريع في طور الإنجاز

1 - مركز استشفائي وبيئي ببني مطير من ولاية جندوبة

يتمثّل المشروع في بعث مركز للسياحة الاستشفائية بمنطقة بني مطير من ولاية جندوبة على مساحة هكتار واحد بكلفة استثمار تقدر بـ 12 مليون دينار. ويتكوّن المشروع من محطة استشفائية وشاليهات وإقامات في شكل أجنحة وغرف وحمام استشفائي. ونظراً لطابعه الإيكولوجي البيئي فقد تحضّل هذا المشروع على منحة من الاتحاد الأوروبي بقيمة 100 الف دينار وقد تم اختياره كمشروع نموذجي يمثل تونس في مجال السياحة البيئية. وسيمكّن من إحداث قطب للسياحة الاستشفائية بالمنطقة بما سيسمح باستقطاب حرفاء من تونس والخارج حيث تقدر طاقة استيعاب المحطة بـ 500 مستحم يومياً. كما ستمكّن من خلق حوالي 50 موطن شغل جديد. ومن المتوقّع أن يتمّ فتحه للاستغلال سنة 2020.

2 - محطة استشفائية بمنطقة عين أقطر بقربص من ولاية نابل

يتكوّن المشروع من نزل من فئة 5 نجوم ومركز

معالجة بمياه البحر ومحطة استشفائية ووحدات للإقامة في شكل «بانقلوات» على مساحة 2.87 هكتار بكلفة استثمار جمالية تقدر بـ 60 مليون دينار ومن المتوقع ان يخلق ما يناهز 220 موطن شغل وأن يتمّ إفتتاحه خلال السداسية الثانية من سنة 2020.

3 - المحطة الاستشفائية بقفصة

يتمثّل المشروع في إنجاز محطة استشفائية على مساحة 3 هكتارات بكلفة جمالية تبلغ 8 ملايين دينار وبطاقة استيعاب تقدر بـ 150 حريف يومياً. ويتكوّن المشروع بالإضافة إلى محطة الإستشفائية من فضاء للمعالجة الطبيّة وفضاء للإقامة وفضاء للتجميل على مساحة 3500 م².

المشاريع المبرمجة

1 - بعث محطة استشفائية ببنت الجديدي من ولاية نابل

تتميّز منطقة بنت الجديدي بوفرة مخزونها من المياه المعدنية الحارة الذي بقي استغلاله في شكل حمامات استشفائية. ونظراً للإمكانات المتاحة لتنمية هذه الجهة ومحاذاتها للمحطة السياحية بالحمامات التي تؤهلها لتصبح قطباً مكملًا لإثراء المنتج السياحي؛ فقد تمّت برمجة بعث محطة استشفائية مندمجة بمنطقة حمام جديدي ويتكوّن المشروع من محطة للاستشفاء بالمياه المعدنية ونزل للإقامة بطاقة 100 سرير

ومركز رياضي ومركز تجاري. وتقدر كلفة المشروع بـ 200 مليون دينار وبطاقة تشغيلية تقدر بـ 500 موطن شغل.

2 - إنجاز محطة استشفائية بمنطقة حمام ملاق

تزرع منطقة حمام ملاق من ولاية الكاف بمخزونها الهام من المياه المعدنية الحارة تجعل منها قبلة للعديد من التونسيين الذين يتوافدون على الحمام الاستشفائي التقليدي للاستحمام والاستفادة من منابع المياه. وقد تمّ إعداد مثال التهيئة العمرانية للمنطقة على مساحة تدخّل جمالية تناهز 60 هكتاراً.

3 - تهيئة منطقة قربص الكبرى

تمتد مساحة المنطقة المعنية بالتهيئة على 1300 هكتار منها 245 هكتاراً كمساحة مهيأة و 67.1 مساحة قابلة للتفويت. ويتكوّن المشروع من 4 محطات استشفائية و 26 وحدة فندقية وإقامات للسكن ومسكن فردية ومناطق مخصّصة للتجهيزات وتقدر طاقة استيعاب المشروع بـ 6800 سرير فيما تقدر تكلفته بـ 3000 مليون دينار.

4 - مدينة استشفائية بمنطقة الخبايات بالحامة من ولاية قابس

يتمثّل المشروع في بعث مدينة استشفائية بمنطقة الخبايات من ولاية قابس على مساحة تدخّل

تقدر بـ 240 هكتار على ملك الدولة ويتكوّن المشروع من محطة استشفائية ونزل للإيواء ومركز للرياضة وإقامات للسكن ومركز للمؤتمرات والتجهيزات الخدماتية الأخرى ومنطقة مساكن فردية وملعب صولجان ومن المنتظر أن يستقطب هذا المشروع 2000 حريف من طالبي الاستشفاء يومياً على أن يخلق 3200 موطن شغل مباشر وتبلغ كلفة المشروع 1000 مليون دينار.

فرص الاستثمار في القطاع

1 - تهيئة و تهذيب حمام العريان الكائن بمنطقة حمام الأنف بولاية بن عروس

قام الديوان بالدراسات الفنية الضرورية في إطار تركيز محطة استشفائية عصرية بهذه المنطقة المعروفة بخصوصياتها العلاجية منذ العصور القديمة.

وتبلغ مساحة الأرض 3370 م² على ملك بلدية المكان ويتكوّن المشروع من محطة استشفائية تحتوي على قسم للمعالجة بالمياه المعدنية وقسم للمعالجة الكهربائية ووحدة للاستشفاء العائلي بحجم استثمار يقدر بـ 15 مليون دينار على أن يساهم في خلق 20 موطن شغل.

2 - إنجاز مركز إستشفائي مندمج بالبخار الطبيعي بجبل طرزة بولاية القيروان

ويتمثّل المشروع في بعث مركز استشفائي مندمج

بالغاز الطبيعي بجبل طرزة من ولاية القيروان على مساحة 5621 م² و يتكوّن المشروع من محطة استشفائية وحمام بخاري طبيعي داخل الكهوف الموجودة وفضاء ترفيهي ووحدة سكنية (30 شقة) ومسبح مغطى ومسبح في الهواء الطلق وتقدر كلفة المشروع بحوالي 7,750 مليون دينار مع خلق 50 موطن شغل.

3 - إنجاز محطة استشفائية بالمياه المعدنية بمنطقة قصور الساف من ولاية المهدية

يتكون المشروع الممتدّ على مساحة 4150 م² من محطة استشفائية وإقامات ومطعم بكلفة 7 ملايين دينار وبطاقة استيعاب تقدر بـ 500 حريف يومياً.

4 - إنجاز حمام استشفائي بالمياه المعدنية بمنطقة حمام اشكل من ولاية بنزرت

تمتدّ مساحة المشروع على 384 م² بكلفة استثمار تبلغ مليون دينار وبطاقة استيعاب تقدر بـ 160 حريف يومياً مع خلق 10 مواطن شغل.

قطاع المياه المعلّبة

يعود استغلال أول وحدة للمياه المعلّبة في تونس الى سنة 1904 وقد ظل الاستغلال و التصرف في وحدات تعليب المياه تحت تصرف شركات عمومية الى حدود سنة 1989 تاريخ فتح القطاع أمام الاستثمار الخاص. وتبعاً لذلك شهد القطاع





تيجن

tijen

EAU MINERALE NATURELLE

سحر المذاق



كما كشف هذا النشاط عن ميزة أساسية وهي قدرته على التأقلم السريع مع المتغيرات حيث وخلافا لبقية القطاعات الاقتصادية التي عرفت بطءا في النمو منذ سنة 2011 حافظ نشاط تعبيل المياه على نسق استثمار مستقر إذ بلغ حجم الاستثمار، منذ سنة 2010 الى سنة 2018 بقيمة 147 مليون دينار. كما ارتفع عدد الوحدات خلال الفترة نفسها من 16 إلى 28 وحدة. ■

نقلة نوعية إذ مرّ الاستهلاك السنوي للفرد من 7 لترات إلى 192 لترا خلال الفترة نفسها. ويعود هذا التطور إلى تزايد الإقبال على استهلاك المياه المعدنية وتطور مستوى عيش التونسي. ممّا يؤّ تونس المرتبة الخامسة عالميا باحتساب الاستهلاك السنوي الفردي. وبخصوص فوائدها العلاجية فهي مفيدة لمعالجة عدة أمراض منها السمنة والمعدة والكلى.

تطورا هاما كما وكيفا ترجمه الإحصائيات المتوفرة، كما تشكلت تقاليد المنافسة وشهد القطاع نموًا تصاعديًا في عدد وحدات تعبيل المياه المعدنية الذي مرّ من 5 وحدات خلال سنة 1985 إلى 28 وحدة في سنة 2018 ليلبغ حجم الاستثمار الجملي في القطاع ما يفوق 500 مليون دينار. وقد أصبح هذا القطاع بفضل استقرار الأسعار، يلبي حاجيات السوق الداخلية التي عرفت


ATHENEE
THALASSO & SPA
Djerba

Le centre **Athénée Thalasso**, relié à l'hôtel Radisson Blu palace Resort & Thalasso Djerba, s'étend sur 3500 m2 des espaces jouant les contrastes d'ombre et lumière, de minéral et bois exotique, des formes épurées et des touches orientales. Véritable bain de nature et de lumière, les piscines en terrasse surplombant mer et palmeraie ajoutent à la magie du lieu. Des curistes fidèles viennent du monde entier, séduits par la qualité des soins et de l'accueil. La souriante et compétente équipe de médecins et thérapeutes, encadrée par Kaïs Nabli, les soins énergétiques, traditionnel aux arômes du pays, **Thalgo** et **Spa 5 Mondes**, participent au succès du centre, devenu une référence. Dans cet esprit, l'Athénée Thalasso présente une nouvelle série de cures et soins idéale pour une parenthèse douceur, se ressourcer ou se reprendre en main, dans le confort, la qualité et la beauté de nos sites.



العين البصيرة واليد القصيرة..

افتتح في الفترة الأخيرة وبشكل متزامن مُركبان تجاريان كبيران في بن عروس وسوسة، وداخل هذين المركبين انتصبت عشرات الماركات العالمية الشهيرة، وفضاءات للتسوق والترفيه العائلي تشتمل على مطاعم وقاعات سينما وتتوفر بها حتى خدمات الحضانة. لقد صُممت هذه «المولات» على شاكلة نظيراتها في كبريات عواصم العالم، ويجد فيها المستهلك التونسي نفس البضائع التي تعرض في دبي وباريس ولندن بأسعار متشابهة لا تناسب قدرته الشرائية فتبدو كأنما هي مخصصة للمترفين دون سواهم!



• بقلم عامر بوعزة

سياسة «تخديم المخ»...

ورغم ذلك فإن الإقبال على هذين المركبين في الأيام الأولى كان قياسيا، ولم يخل من تدافع. فقد انقض صغار التجار على التخفيضات في نطاق استراتيجية «تخديم المخ» للتزود بسلع غذائية في الغالب ومياه غازية ومعدنية يبيعونها فيما بعد في حوانيتهم بأسعارها الأصلية، أما عموم الناس فمصابون بداء الفضول. واستجابة لإغراءات الإشهار لا يبالي التونسيون أبدا بالطواير الطويلة وساعات الانتظار. وإلنا إذا وضعنا إنجازات مجتمع الاستهلاك هذه في سياق الأزمة الاقتصادية

العضال سنخرج معادلة رياضية بديهية: أمام كل بضاعة يشتريها حريف واحد ثمة عشرة فضوليين يتفرجون عليه! فأغلب مرتادي هذه المركبات يتجولون في الأروقة ويبحلقون في الواجهات ولسان حالهم يقول: «العين بصيرة واليد قصيرة!»

ليس المواطن البسيط «الغبان» وحده من يردد هذه العبارة في السر والعلن، فالحكومات أيضا لا تمل من ترديدتها على الأسماع تبريرا لعجزها وقلة حيلتها، وهذه العبارة هي أقصر شماعة استخدمت عبر التاريخ لتفسير البؤس وإقناع الطبقات الفقيرة بالصبر، لا سيما

إذا رافقتها صياغات إنشائية فضفاضة عن القناعة والتحديات وعن ترشيد الاستهلاك وعنق الزجاجة، وعن أفضلية الديمقراطية على سائر متع الدنيا والآخرة!

الأرنب والسحفاة...

إنّ الوقت الذي استغرقه إنشاء هذين المركبين قصير للغاية إذا قارنته بالوقت الذي يتطلبه إنشاء المشاريع العمومية الأساسية كالمدارس والمستشفيات والجسور والطرق، فالمدة الفاصلة بين وضع حجر الأساس وتدشين المشروع في القطاع

الخاص أقل بكثير من الفترة التي يستغرقها مجرد القيام بدراسة فنية لمشروع عمومي واحد! وكثيرة هي الحظائر التي بدأت وتشعر كلما مرت بها أنها لن تنتهي إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهناك مشاريع تداول على وضع حجر أساسها كل رؤساء الحكومات منذ زمن بن علي ولم تنطلق بعد، وهي على كل حال أفضل من تلك المشاريع التي يضع لها هذا الوزير أو ذاك حجر الأساس في حفل مشهود ثم عند إقالته تختفي من الوجود.

مكينة السعادة...

ثمة تناقض بين الواقع وصورته في المرأة، فمشاريع القطاع الخاص هذه التي لا تخرج عن نطاق الخدمات والتجارة والتسليّة والترفيه مزدهرة وتدرّ أرباحا طائلة على أصحابها، فيما يتكلم خبراء التلفزيونات عن الآفاق المسدودة والإفلاس المرتقب ويخيّم شبح الفقر في كل مكان. هؤلاء يتحدثون عن العلامات التجارية العالمية والمجتمعات الاستهلاكية وثقافة الوفرة، لا بوصفها عامل دفع اقتصادي بل خطرا على المنوال التنموي الواهن الذي يستوجب التجديد، ويقترح بعض السياسيين على حكومات اليمين أفكارا شيوعية تحت بند: استعادة الدولة دورها الاجتماعي وفرملة تغول رأس المال. هؤلاء قد يعتبرون في الغالب أشخاصا متطرفين في تشاؤمهم، لا يرحمون، ولا يتركون رحمة تنزل من مكان ما أو من السماء، يستكثرون على «الزوالي» حتى مجرد الفرجة على واجهات المغازات الفخمة ومطاعم

الأثرياء. وتتناظر الحكومات دائما بالإصغاء إليهم ولسان حالها يقول: «العين بصيرة واليد قصيرة». وهذا التناقض هو الوجه الآخر للتناقض القائم منذ تسع سنوات بين تشخيص الأزمة والحلول المقترحة لها، فبينما تحتاج التنمية الحقيقية نهضة صناعية وفلاحية ومبادرات تكنولوجية مجددة ذات قدرة تنافسية عالية تتنازل المشاريع الاستثمارية ذات الطابع الاستهلاكي. وهي مشاريع تجسد عقيدة رأس المال التي لا تملك إزاءها الدولة غير الإذعان، هي في النهاية «مكينة السعادة» كما صورها «كمال الزغباني» في روايته التي تحمل هذا الاسم بنماذجها المتطابقة وثقافتها النمطية المعولة، مكينة شرسة تفرغ الإنسان من إنسانيته وتحوّل الذات المستقلة إلى كيانات مستلبة.

الثقب الأسود...

لقد توسّعت في السنوات الأخيرة أيضا طبقة الفقراء لتضمّ إلى جانب محدودي الدخل وذوي الاحتياجات الخاصة والعائلات وفيرة العدد في الأرياف والمناطق النائية جزءا كبيرا من الأجراء في القطاعين العام والخاص، الشيطين أو المتقاعدين، وهؤلاء جميعا لا يمكنهم تصوّر حلول لتقهقر قدرتهم الشرائية خارج ثنائية الترفيع في الأجور والتخفيض في الأسعار فضلا عن مطالبة الدولة باستمرار بتحسين الرعاية الاجتماعية والخدمات الصحية وتشغيل العاطلين. مع معارضة كل الإصلاحات الكبرى لتعارضها مع مصالحهم الفردية. ولما كان عجز الحكومة عن تحقيق العدالة الجبائية

والقضاء على الاقتصاد الموازي يعني عجزها عن الإيفاء بالتزاماتها الأساسية إزاء هذه الطبقة صار الفقر ماثلا للعيان في كل المرافق العمومية دون سواها وخصوصا في مجال الخدمات اليومية التي تتصل بحياة المواطن ومصلحه الحيوية على غرار التعليم والصحة والنقل، والأمن والعدل والثقافة والتجهيز، وبعض هذه القطاعات التي يستثمر فيها الخواص كالتعليم والصحة تشهد على وجود نمطي حياة متناقضين ويكاد القفز على الهوة الفاصلة بينهما يصبح مستحيلا، فقد أصبحنا شعبين في بلد واحد.

إنّ الأغنياء قد ازدادوا في السنوات الأخيرة غنى بنفس القدر الذي ازداد به الفقراء فقرا، والهوة حينئذ بين من يشترون ومن يتفردون أوسع من أن تكون مجرد هوة، إنها شرخ عميق يكسر المجتمع إلى نصفين. حدث ذلك بأسرع من المتوقع في ظلّ تشعب الاستحقاقات التي ظهرت بعد الثورة وضعف أجهزة الدولة، وبعد أن ساد الاعتقاد طويلا في أنّ الفساد هو الذي يعرقل التنمية أصبحت الأنظار متجهة أكثر من ذي قبل إلى النموذج الاقتصادي برمته، وهو الأمر الذي يتعدّر على أي حكومة أن تغيّره بشكل ملموس بسبب ارتفاع حجم المديونية والارتباط القسري بمؤسسات النقد الدولية. يبشر ذلك بتواصل سياسة تصريف الأعمال إلى أمد غير منظور تحت شعار «العين بصيرة واليد قصيرة» كما يبشر بتمدد الهوة الفاصلة بين الشعبين أكثر لتصبح ثقبا أسود يتلعل كل شيء...
ع.ب.ع



مجتمع الخوف



• بقلم د. منجي الزيدي

شهد أحد الملاهي الليلية في تونس العاصمة جريمة قتل بشعة راح ضحيتها شاب كان يحتفل بعيد ميلاده صحبة والده وعدد من أصدقائه. لقد تمّ التنكيل به على مرأى ومسمع من الجميع ولم يهب أحد إلى نجاته. واكتفى أغلب الحاضرين بأن أشهروا هواتفهم المحمولة وصوّروا الحادثة ونشروها على شبكات التواصل الاجتماعي، وتنافسوا في تقديم شهاداتهم أمام الكاميرات وعلى صفحات فيسبوك. استقطبت بشاعة الجريمة وظروفها اهتمام الجميع ووجد فيها أهل الإعلام والسياسة ما يأكلون وما يشربون... ولسوف يطوبها النسيان كسابقاتها. ولكن المثير للانتباه هو عجز الحاضرين، ومنهم من كان يشارك الضحية احتفاله، عن نجاته ويقاؤهم في وضع الشاهد المُكبّل.

الواقع

أنّ هذا السلوك شائع في كل المجتمعات. حوادث «الخطف والنظر» والسلب العلني وقطع الطرق والدغر والضرب والقتل في عزّ النهار تزداد انتشاراً وحدة، وبتزايد معها عجز جماعي عن التدخّل. القيم الأخلاقية والاجتماعية تعلي من شأن الإيثار والشجاعة والمرورة، والقوانين الوضعية تُجرّم «عدم إغاثة شخص يواجه خطراً» ومنها قانون «الامتناع المحظور» الذي سنّته تونس منذ ستينيات القرن الماضي، ومع ذلك فالسلوك الشائع للإنسان حينما كان هو أنّه يؤثّر السلامة ويتجنّب الأذى و«يتعد عن الشرّ ويغني له» عملاً بنصيحة المثل الشعبي. وهذا ردّ فعل لا يحتمل توصيفا أخلاقياً معيّنًا... إنّه الخوف.

والخوف، في الأصل، نظام مناعة ينبّه للمخاطر ويستنفر آليات الحيلة والحذر، ومُهي السلوك المناسب لمواجهتها أو تفاديها. وهو في حدوده الطبيعية شرط من شروط البقاء. ولقد حلّ علم الاجتماع وعلم النفس التجليات الاجتماعية والسيكولوجية لهذا الشعور البشري الطبيعي منذ أمد ليس بالقصير. واعتبر عدد من المفكرين

أنّ من سمات هذا العصر تنامي التهديدات وانتشار ثقافة الخوف. وصاغ عالم الاجتماع الألماني «اولريش باك» مصطلح «مجتمع المخاطر» ليشير به إلى واقع مجتمعات ما بعد الحداثة منطلقاً من كثرة التهديدات الناجمة عن التقدّم العلمي وانعكاساتها الاجتماعية على حياة الإنسان. فالخطر يحاصر الإنسان في الهواء والماء والغذاء ووسائل النقل... ولئن تطوّرت أغلب مرافق الحياة وأضحت تمنح الراحة والمتعة والسعادة فإنّها تنطوي على قدر متصاعد من مخاطر المرض والإعاقة والموت... (الأغذية المصنّعة، المواد المسرطنة، حوادث الطرقات، وارتفاع معدلات العنف والإرهاب والجريمة...) وبفعل هذا «دخل العالم القرن الحادي والعشرين خائفاً أو هكذا هي صورته كما أريد لها أن تنتشر» على حدّ تعبير عالم الاجتماع التونسي طاهر لبيب. ونتج عن الوعي بالمخاطر إنتاج لمخاطر أخرى، وترسخت ثقافة حمائية جعلت من حياة الفرد تفادياً مستمراً للخطر. وكلّما أفرط في التركيز على التهديدات كلّما ضعفت القدرة على تقدير المواقف وتحليل معطياتها وكان أسهل الحلول هو سلوك الهروب.



ويعيش التونسي تحت وطأة الخوف المُعمّم. ذلك أنّه أصبح محاصراً بالجرّائم الفظيعة والحوادث الأليمة التي تستهدف النساء الفقيرات والرضع والشباب... ويتربّص به الإرهاب الساكن في أحراش الجبال وخارجها. وما يزيد هذا الواقع تعقيداً وصعوبة هو عجز مؤسسات المجتمع عن استباق الخطر والوقاية منه واحتوائه ونشر الأمان. فالفوضى عمّت أغلب مجالات الحياة و تهلّت معها سلطة الضبط الاجتماعي، و انهكت أجهزة الردع بتشويش أداؤها رغم تضحيات رجالاتها وتقانيهم.

لقد فقدّ المواطن ثقته في حزم المؤسسات ومصدقيتها. وأضحى يعيش داخل تناقض الشعارات مع الواقع المعيش. الجميع يتحدث عن علوية القانون وكثيرون يتجاوزونه بشكل صارخ ومُتعمّد. ازدواجية المعايير والتفرقة بين المواطنين تزيد في منسوب الاحتقان الاجتماعي. الواقع السياسي القائم على صراع المصالح وغياب البدائل، والأداء الإداري الآخذ في التراجع وانعدام الكفاءة يرسمان مستقبلاً غامضاً وينشران الحيرة والشك والقلق. مجتمع دون أمل وطموح هو مجتمع مكتئب يُكبّله الخوف و يمنعه من مواجهة التحديات والمخاطر فيكتفي بجلد ذاته على فيسبوك. المشاركة في نشر فيدوهات جريمة القتل في الملهى الليلي ومن بعدها بأيام قليلة صوّر الشباب ضحايا حادث منعرج الموت وهم صرعى في ذلك الوادي المشؤوم هو عرض لمشاهد من تراجيديا اجتماعية شاملة قد يكون المشاهدون ينشدون من خلالها نوعاً من التطهير Catharsis على النحو الذي كانت تقوم به المأساة الإغريقية. والخوف هو نتيجة الفوضى والتهاون وتجاوز القانون وانتهاك سلطان الدولة العادلة. وهو يجد في بيئة يائسة وحائرة أرضية ليُعرّش كالأشواك الخبيثة، ومن ثمّ تنتشر معه الانتهازية والأنانية والهروب من الواجب. الشجاعة والتضحية فعل استثنائي له رموز وقيم وقودة لا يبدو أنها تتوفر في مجتمعنا اليوم. ■

م.ز.
أستاذ تعليم عال بجامعة تونس

TUNISAIR vous accompagne vers de nouveaux horizons

Au départ de l'Afrique, TUNISAIR vous rapproche de l'Europe, du Moyen Orient et de l'Amérique du Nord, avec plus de 850 connexions par semaine via Tunis, au départ d'Abidjan, Alger, Casablanca, Constantine, Bamako, Dakar, Le Caire, Niamey, Nouakchott, Ouagadougou, Oran, Conakry et Cotonou.



يقدم عادل الأحمر

يوميات مواطن عيَّاش «يا بابا نوال... اجعلني من الجهال»

اليوم طلع لي العيَّاش، بطلعة ما ثماش، قال لي: «نحب نوِّي جاهل مع الجهال، ولو كنت في سنّ الطفولة لطلبت ذلك من «بابا نوال»، هدية في عيد ميلاد المسيح، لعلني من هموم الدنيا أستريح».

قلت: «ولكن كيف يمكن لك أن تكون دون شعور، إزاء ما حولك يدور؟»، فأجاب: «وهل لي أن أحزن أو أفرح، وأنا في حياتي الجديدة – وبحكم أميتي – لن أطلع مجلة ولا جريدة؟ ومن أين النرفة، وأنا لن أشاهد حلقات نقاش في التلفزة؟ إنني بهذه الطريقة لن أكلف نفسي عذابات المناقشات والتحليل، والتعليق والتأويل، والشجب والتنديد والعيول، بشأن مسائل ليس لها في حياتي كبير تأثير، وأنا المواطن البسيط الجاهل والعبء إلى ربّه الفقير... وهكذا أيضا لن أشعر بالسخط على أحداث من حو لي أو في بلاد بعيدة، ولا بالنقمة على أشخاص ليست لي بهم علاقات وطيدة، متجنّبا بالتالي كل ما ينتج عن ذلك من تبعات سلبية، بين وجع في الدماغ وارتفاع ضغط وسكر وغير ذلك - عافاكم الله - من أمراض عصبية...»

هنا، قاطعت العيَّاش قائلا: «إذن، هذه هي الأسباب الحقيقية، التي أغرتك بحلم الجهل والأمية؟»، فأجاب معترفا: «نعم... ولو كان الرجوع إلى الطفولة ممكنا فلن أذهب إلى معهد أو مدرسة، ولن تطأ قدماي جامعة. فالقرابة هي التي زرعت في «الستراس»، وركبت لي م الصغرة وجيعة الراس، وهي التي شحنتني بأفكار عقّدتني، وفي الدنيا غلّطتني. كما كبّلتني بقيم لا توكل خبز ولا تشرب ماء، وملأتني بتنظيرات تركتني معلقا بين الأرض والسماء... فما أحلى الرجوع إلى الأمية، لو قبل مني «بابا نوال» تحقيق هذه الأمنية!».

لم أجد على كلام الصديق، أي نوع من أنواع التعليق، بل لعلّه أقتعني بفكرته، وسحرني بحلمته، حتّى أيّ قلت له، وأنا أودّعه: «إن ردّ بابا نوال» على طلبك بالإيجاب، فبالله قل لو يقرأ لي في العام الجاي حسابي!». ع.ل.

أدهشتني «طلعة» صديقي، فقلت له: «أفقي يا رفيقي! تحب نوِّي جاهل؟! أهذا كلام عاقل؟»، فأجابني: «نعم، جاهل، أمي، جهلوت، من يوم أولد إلى يوم أموت، ولا تسأل عن الأسباب، فالهمم أن أسكرع القرابة باب، لأحيا حياة سعيدة، لا فيها كتاب ولا جريدة، حياة بعيدة عن المكتبات، ودور الثقافة والمنتيات، حياة لا صلة لي فيها بالأدباء والمثقفين ولا بالسياسة والسياسيين، حياة لن أهتم فيها - بحكم أميتي - بالشؤون الخارجة عن أموري المهنية، وشؤوني العائلية والشخصية، حياة لن يعكّر صفوها أيّ مشكل أو قضية، باستثناء بعض الطوارئ الصغيرة العادية: مثل كل الناس ضائقات مالية، ومن حين لآخر وعكات صحيّة، أو خصومات عائلية، لا بدّ منها لتفويج الحياة الزوجية».

قلت: «وماذا ستفعل فيما بقي لك من أوقات؟»، قال: «لن أطلب أكثر من ذلك من تلك الحياة، المهم هو أن تكون أموري عال العال، أنا وزوجتي والعيال، وألّا يمّس أحد عاداتي الرسمية، من قهوة وشيشة يومية، إلى مسلسل السوري ظهرا والتركي في العشية، مروراً بمتابعة ماتشوات الجمعية... وفيما عدا ذلك، ومهما حدث من أمور جسام وتطوّرات فلن يكون لي بها اهتمام، ولا ردّ فعل ولا تعليقات، ولا أحاسيس ولا انفعالات... لن تتور دمائي إزاء مظاهر الظلم ومشاهد الهرج... لن تتحرّك لي شعرة وأنا لأحظ العوج... لن أحزن للجياع العراة، والمرضى الحفاة... لن أتحمّس للمظلومين، والمسحوقين المستضعفين».

و2019 والتي أتاحت للثورات المضادة أن تستعيد قواها خلالها، قد قضت على روح التمرد عند الشعوب العربية...

ومهما يكن من أمر وبقطع النظر عما تمكنت «الثورة» في السودان من تحقيقه (اتفاق تقاسم للسلطة بين الحركة الثورية المدنية وبين المجلس العسكري) وعمّا يمكن لـ«ثورات» الجزائر ولبنان والعراق أن تحقّقه مستقبلاً، فإن الأمر المؤكد أنّ صيورات هذه «الثورات» ستكون لها انعكاساتها على سيرورة الأحداث في بلدنا. وأنا هنا أريد أن أدقّ جرس إنذار لكل من يتوهم أنّ «الثورة المضادة» استطاعت أن تهبّض «ثورة» الرابع عشر من جانفي 2011 وأن تنتصر عليها، وأن تقضي على إرادة التغيير عند الشعب التونسي قد انتهت. إنّ من يتوهم ذلك ينبغي أن يسارع إلى مراجعة حساباته لأنّ الحراك الثوري الذي تجدد هذه السنة في عدد من الدول العربية، يؤكّد أنّ إرادة الشعوب قد تسكن ولكنها لا تستكين، وأنّ «الثورات» قد تحدث على مراحل، وموجات متتابعة...

إنّ الإصلاحات الشكلية والجزئية التي تمّ القيام بها حتى الآن وعلى امتداد السنوات التسع الماضية لا يمكن أن تعالج القضايا الملحة التي تعيشها البلاد، وهي أنتجت نظاما هجيناً يقوم على ديمقراطية غير حقيقية لأنها ديمقراطية توافقية تركز على أجسام حزبية واهنة متناثرة في السلطة ممّا يجعلها سلطة مهترّة مشلولة عاجزة عن الحل والعقد لأنها تفتقد إلى الاتزان والتوازن، وتحتاج باستمرار إلى اللجوء إلى تفاهات فوقية عادة ما تكون على حساب مصالح الشعب...

إنّ تونس، فيما أرى، بحاجة أكيدة وعاجلة إلى الانخراط في مسار إصلاحي فعلي وصادق يمكن من تحقيق انتقال سياسي واقتصادي عميق وشامل يستجيب لتطلعات الشعب التونسي وانتظاراته، وما لم يحدث ذلك، فإننا سنكون على موعد مع مزيد من التوتّرات السياسية والاجتماعية، ومزيد من الاحتجاجات، ورّمًا مع «حراك ثوري جديد» أخطر من حراك سنة 2011، لأنّ محرّكه الأساسي، هذه المرة، لن يكون التوق إلى الحرية والكرامة، وأنما غريزة حبّ البقاء بالتخلّص من برائن الجوع والفقر والحرمان. ■

م.أ.ح.



2/ أنّ هذه «الثورات» حرصت على استبعاد أيّ إيحاء إلى الانتماءات الدينية والطائفية أو العرقية والقبلية حتى تتجنّب الانقسام، وحتى لا تمنح الأنظمة فرصة لاتهامها بتهديد الوحدة الوطنية وذريعة لضربها وتشتيت صفوفها.

3/ أنّ هذه الثورات انطلقت سلمية، وظلّت حريصة كلّ الحرص على الحفاظ على سلميتها، وعلى تجنب العنف والتخريب حتى تتمكن من استقطاب أكبر قدر من التعاطف الداخلي والخارجي، وحتى تتفادى الصدام مع السلطات والأجهزة الأمنية، ولا تتيح للأنظمة فرصة استخدام أساليبها القمعية المعهودة ضدها.

4/ أنّ بعض هذه «الثورات» على غرار «الثورة» في السودان تمكّن من الإطاحة بنظام «إخواني»، وهو ما يشكل اختلافاً بيننا وبينها وبين «ثورات» الموجة الأولى التي مهدت الطريق لصعود ما يسمّى «الإسلام السياسي» إلى سدة الحكم، وكانت بشكل من الأشكال، سبباً في انتشار الجماعات المتطرّفة والتنظيمات الإرهابية التي عاثت في دول المنطقة فساداً.

5/ أنّ هذه «الثورات» برهنت مرّة أخرى على أنّ نفس الأسباب تؤدي، حتماً، إلى نفس النتائج، وهي تؤكّد لنا أنّ ما حدث خلال سنة 2011، وتكرّر خلال سنة 2019، لا يستبعد أن يتجدّد مرّة أخرى، لأنّ استمرار الأوضاع السياسية والاقتصادية المتردية، وتفاقم تداعياتها الاجتماعية المحبّطة، وتواصل عجز الطبقات الحاكمة عن إيجاد الحلول الناجعة لها، تظلّ تشكّل صواعق قابلة للتفجّر والتفجير في أيّ حين...

ولذلك لا ينبغي أن يذهب في ظنّ البعض أنّ فترة الهدوء النسبي التي امتدّت بين سنتي 2011

مما آلت إليه «ثورات» ليبيا وسوريا واليمن من اضطراب واحتراب دمويين ومدمرين ما يزالان متواصلين حتى الآن، وهو ما زرع بعض مشاعر الخوف عند الشعوب العربية من شيء اسمه «الثورة»، فإنّ الموجة الثانية من «الثورات» ظلّت متوقّعة بل منتظرة، لأنّ الدول العربية، عموماً، تعاني، وإن بدرجات مختلفة ومتفاوتة، من نفس الأزمات المركّبة السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي يبدو أنّها مستعصية على العلاج بالأحركات شعبية حاشدة... ولعلّ ما ينبغي الانتباه والتنبيه إليه، في هذه المرحلة، هو أنّ هذه الموجة الثانية من «ثورات» الربيع العربي تختلف في بعض خصائصها عن «ثورات» الموجة الأولى التي هبّت رياحها على خمس دول وتراوحت مآلاتها بين نشوب حروب أهلية في ثلاث منها، وبين الارتداد في إحداها، وبين العجز عن تحقيق التطلّعات في الأخرى...

وفي رأيي فإنّ هذا الاختلاف راجع، أساساً، إلى أنّ «ثورات» الموجة الثانية استخلصت من «ثورات» الموجة الأولى جملة من الدروس والعبر «الثمينة» التي يمكن أن نجمها فيما يلي:

1/ أنّ «ثورات» الموجة الثانية، كما تدلّ على ذلك بعض الشعارات التي رفعتها («يتنخاو قاع» في الجزائر، و«كنّ يعني كلن» في لبنان) لا تقنع بالإطاحة برؤوس الأنظمة، وإمّا تريد الإطاحة بكافة مكوناتها ومزموزها، فلقد تعلّمت أن هذه الأنظمة، إن لم تفكّك، تستطيع، بالاعتماد على أجهزة الدولة العميقة وهيكلها، أن تعيد إنتاج نفسها رّمًا بصورة أسوأ ممّا كانت عليه، ومعنى ذلك أنّها تريد تغييراً جذرياً يضمن لها التخلّص من الطبقة السياسية، الحاكمة منها والمعارضة في آن واحد، كما يضمن لها محاكمة الذين نهبوا المال العام واسترداد ما نهبوه.

بالرغم



«كفى... لم نعد نحتمل» إنها الموجة الثانية من «ثورات الربيع العربي»



• بقلم محمد إبراهيم الحصري

لعلني لا أخطئ إن قلت إنّ سنة 2019 التي سنوّدها بعد أيام معدودة، كانت، بامتياز، سنة الموجة الثانية من «ثورات» الربيع العربي. فهي، على غرار سنة 2011 التي تعاقبت فيها «ثورات» تونس ومصر وليبيا وسوريا واليمن، شهدت، على التوالي، «ثورات» أو حركات احتجاج ثورية في كل من السودان (ديسمبر 2018 / أبريل 2019) والجزائر (فيفري 2019 / ...) ولبنان والعراق (أكتوبر 2019 / ...).

في تهريب كميات كبيرة من السلاح من مخازن القذافي نحو البلدان الإفريقية المجاورة لتقع في يدي الإرهابيين، كما أن سقوط النظام الليبي جعل آلاف الجنود المرتزقة الأفارقة الذين كانوا يحاربون في صفوف الجيش الليبي يجدون أنفسهم فجأة بدون أي مورد رزق ليتفرقوا على البلدان القريبة وأهمها التشاد والنيجر ومالي.

هذا الإمداد بالسلاح والمقاتلين، لم يلبث أن أتى أكله على مستوى نشاط الجماعات الإرهابية المتمركزة بمنطقة الساحل والتي ينتمي أغلبها لتنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، حيث أعلنت هذه الجماعات في 2012 سيطرتها على شمال مالي وكانت متوجهة نحو إحكام سيطرتها على العاصمة باماكو لولا التدخل العسكري الفرنسي من خلال عملية «سرفال» في جانفي 2013 لإيقاف تمده، هذه العملية التي قامت فرنسا باستبدالها بعملية «برخان» في أوت 2014 لتشمل تحصين كافة منطقة الساحل ضد الهجمات الإرهابية. ساهم التدخل العسكري الفرنسي بالإضافة إلى جهود بعثة الأمم المتحدة لتحقيق الاستقرار في مالي MINUSMA التي تكونت في أفريل 2013، إلى حد كبير في إيقاف تمدد الجماعات الإرهابية ولكن لم يتم القضاء عليها تماما. ما حصل هو أن الإرهابيين الفارين من مالي توسعوا نحو البلدان المجاورة لجدوا لهم موطئ قدم في التشاد والنيجر وبوركينا فاسو ونيجريا، وبذلك توسعت رقعة نفوذهم.

الشرعية من تجارة المخدرات إلى تجارة السلاح مروراً بتجارة البشر والهجرة غير الشرعية. هذا الوضع خلق مناخا خصبا لتحالف استراتيجي بين الإرهاب وكل هذه الأنشطة غير القانونية، بما أنها كلها تزدهر في غياب دولة قوية قادرة على مقاومتها.

بالتالي ليس بالغريب، أن تعتمد التنظيمات الإرهابية المختلفة الموجودة في المنطقة في تمويل أنشطتها على مختلف أصناف التجارة غير الشرعية. وينضاف إليها مورد آخر للتمويل وهو تحصيل مبالغ هائلة من الفدية نتيجة عمليات خطف السياح الأجانب والعاملين في المجال الإنساني.

الحرب في ليبيا وبداية التوسع

تمركز التنظيمات الإرهابية في منطقة الساحل ليس جديدا وإن تدعم خلال السنوات الأخيرة، فوجودها يعود إلى انطلاق العشرية السوداء في الجزائر وعودة العرب الأفغان إلى بلدانهم في بداية تسعينات القرن الماضي، حيث كون بعض منهم نواة تجمعات سلفية تحولت فيما بعد إلى مجموعات إرهابية قادها في مرحلة أولى قادة جزائريون قبل أن تُفرز قيادات محلية أكثر معرفة بطبيعة المنطقة جغرافيا وثقافيا واثنيا. ولكن هذه الجماعات تدعمت وزادت قوتها بعد الثورة الليبية في 2011، حيث أن سقوط نظام القذافي والفوضى التي اجتاحت ليبيا ساهمت

م يكن من باب الصدفة أن يتحول اهتمام الإرهابيين بعد هزيمة تنظيم الدولة الإسلامية في سوريا والعراق إلى منطقة الساحل الأفريقي، حيث تتمركز أساسا في هذه المنطقة جماعات إرهابية تابعة لتنظيم القاعدة منذ تسعينات القرن الماضي، انضم بعضها إلى داعش بعد ذلك. وهو ما يفسر توجه البغدادي قبل موته، في أفريل 2019، برسالة إلى أتباعه للتوجه نحو الساحل الإفريقي والتمركز في الصحراء.

وجاء تواتر العمليات الإرهابية الموجهة خلال السنتين الأخيرتين في مالي وبوركينا فاسو والتشاد ونيجريا التي أوقعت ضحايا بالمئات سواء في صفوف السكان المحليين أو في صفوف القوات العسكرية الأجنبية والأممية، ليؤكد على الدور الجديد الذي أصبحت تلعبه المنطقة كنقطة تمرکز للحركات الإرهابية في العالم. كما أن قربها الجغرافي من أوروبا ومن الشرق الأوسط جعلها أفضل ملاذ للإرهابيين الهاربين من المحرقة السورية لاستعادة أنفاسهم وإعادة ترتيب صفوفهم والتهيئ للقيام بعمليات إرهابية تستهدف المصالح الغربية في إفريقيا ولكن أيضا البلدان الأوروبية نفسها في عقر دارها.

جغرافية مساعدة

تمتد منطقة الساحل والصحراء على مسافة تتجاوز 5000 كلم وهي عبارة عن صحراء مترامية الأطراف تخترق حدود دول عديدة منها مالي والتشاد والنيجر وموريتانيا وبوركينا فاسو، تصعب مراقبة حدودها والتحكم في تنقل سكانها الذين يُعد جزء مهم منهم من التوارق الرحل، كما أنها منطقة تتميز بتركيبة اثنية معقدة بالإضافة إلى ظروف اقتصادية واجتماعية صعبة، فهي من أفقر المناطق في إفريقيا. كل هذه العوامل تجعل منها أرضا مناسبة لنمو وترعرع الإرهاب الذي يزدهر على خلفية الأوضاع الاقتصادية الصعبة للسكان المحليين وسخطهم وغضبهم على حكاهم، إلى جانب الهشاشة الأمنية التي تجعل من السهل القيام بعمليات إرهابية واستهداف قوات الأمن والجيش.

ولكن ما يزيد الأمر تعقيدا في هذه المنطقة هو كونها منطقة عبور لمختلف أنواع التجارة غير



منطقة الساحل والصحراء هل باتت الجنة الموعودة للإرهابيين؟

مع انحسار رقعة الإرهاب في الشرق الأوسط بعد القضاء على تنظيم داعش وزعيمه التاريخي، تتجه الأنظار حاليا إلى منطقة جديدة تعتبر الأرض الموعودة بالنسبة للإرهابيين وهي منطقة الساحل والصحراء. منطقة شاسعة يصعب التحكم فيها، وهي مرتع لمافيات تجارة المخدرات والسلاح والبشر. ومع تزايد العمليات الإرهابية فيها واستهدافها للسكان المحليين والقوات الأممية والأجنبية، أصبحت هذه المنطقة تشكل تحديا حقيقيا لأمن جيرانها ولأمن العالم بأسره.



• بقلم حنان زيبس



**PAYEZ
EN LIGNE
EN TOUTE SÉCURITÉ**

3D SECURE



Afin de mieux sécuriser vos paiements par carte bancaire sur Internet, La Banque de Tunisie met en place un système de sécurité basé sur le protocole 3D SECURE. Ce système consiste à authentifier toute transaction à l'aide d'un mot de passe dynamique à usage unique. Il vous sera envoyé instantanément par SMS sur votre GSM pour la validation de l'opération. En cas de changement de votre numéro de téléphone, nous vous invitons à contacter votre agence



تعالى الأصوات من داخل بلدان الساحل التي تندد بهذا الوجود وتعتبره استعماراً جديداً.

من جهتها، عززت الولايات المتحدة حضورها عسكرياً في منطقة الساحل من خلال قوات «الأفريكوم»، حيث يوجد حالياً 7500 جندي أمريكي في المنطقة، كما عملت على بناء قواعد عسكرية لمراقبة تحركات التنظيمات الإرهابية ودعم المجهود الاستخباراتي. وهي تتهماً لإنشاء أكبر قاعدة عسكرية في تاريخها في النيجر بحلول 2024. ولكن كل هذه الجهود لم تساهم في انحسار نفوذ الجماعات الإرهابية التي تتزود بشكل مستمر بعناصر بشرية جديدة، مستفيدة من حالة الفوضى والضعف السياسي والاقتصادي التي تعاني منها حكومات الساحل، إلى جانب أنها تتغذى من الصراعات القبلية والإثنية حول الموارد والأراضي بين السكان المحليين.

كذلك لم تنجح القوات الأممية مثل بعثة الأمم المتحدة MINUSMA والتي قوامها 15 ألف جندي، بالإضافة إلى «قوات جيش الساحل» التي تكوّنت في 2015 من قبل 5 دول (مالي والتشاد والنيجر وموريتانيا وبوركينا فاسو)، في القضاء على الجماعات الإرهابية، رغم أنها تتكوّن من جنود محليين على خلاف القوات العسكرية الأجنبية. وقد مُنيت هي أيضاً بخسائر بشرية كبيرة، حيث فقدت بعثة الأمم المتحدة 170 جندياً منذ انشائها في 2013.

كلّ هذه العوامل، تجعل من المشروع اليوم القلق حول حجم الخطر الذي تمثله منطقة الساحل باعتبارها أصبحت موقعا استراتيجيا لتفريخ الإرهاب وتنميته وتصديره للبلدان المجاورة ولكن أيضاً للعالم، بحكم موقعها الجغرافي القريب من أوروبا والشرق الأوسط. وفي غياب تنسيق أكبر سواء بين الحكومات المحلية أو بينها وبين القوى الغربية ذات المصالح الاستراتيجية في المنطقة، ومع انعدام حلول جذرية للفقر وتفشي الفساد والنتائج الكارثية للتقلبات المناخية على السكان المحليين في منطقة الساحل، فإن رقعة الإرهاب ستتوسّع بشكل سريع، قد يصعب بعد ذلك التحكم فيها. ح.ز.

هذه المجموعة على لائحة المنظمات الإرهابية من قبل الولايات المتحدة منذ سبتمبر 2018 نظراً لخطورتها. ولم تكتف «جماعة نصرة الإسلام والمسلمين» بالقيام بعمليات إرهابية في مالي وإنما وسّعت نشاطها إلى بوركينا فاسو والتشاد والنيجر ووصل مجال تحركها إلى البلدان المحاذية لمنطقة الساحل في إفريقيا الغربية مثل البنين وساحل العاج والطوغو. وقد أصبحت هذه الجماعة ومعها «تنظيم داعش في الصحراء الكبرى» أهمّ جماعتين ناشطتين وقويتين في منطقة الساحل. كما أنّهما تقومان باستمرار بتوسيع نطاق نفوذهما مهددين بنشر الإرهاب على رقعة تتجاوز منطقة الساحل والصحراء، أمام عجز الحكومات المحلية والقوات الأجنبية على التصدي لهما.

العجز عن التصدي للتنظيمات الإرهابية

لا يبدو أن خطر الجماعات الإرهابية الناشطة في الساحل سينحسر، فعدا تواصل الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والأمنية الهشة في بلدان المنطقة، مما يمثل أرضية خصبة لتطور الإرهاب، فإن هناك اليوم عجزاً حقيقياً للتصدي لها من قبل القوات العسكرية الأجنبية خاصة الفرنسية والأمريكية، وقوات حفظ السلام في الساحل. ولئن حاولت البلدان الغربية ذات المصالح الاستراتيجية في منطقة الساحل، مثل فرنسا والولايات المتحدة تقوية وجودها العسكري فيها، إلا أنّ ذلك يساهم في ردع الجماعات الإرهابية التي يقوى نفوذها كل يوم أكثر وتزيد عملياتها.

فمنذ 2014، أطلقت فرنسا عملية «برخان» وقوامها 4500 جندي، كما عملت على تدريب قوات الشرطة والجيش في بلدان المنطقة وتزويدها بالسلاح لدعم جهودها في مقاومة الإرهاب إلا أنّ ذلك لم يسفر حقيقة عن نتائج ملموسة على الأرض، بل زاد نسق العمليات الإرهابية التي تستهدف قوات الأمن المحلية وكذلك الجنود الفرنسيين. وأصبحت فرنسا تتساءل بعد خسارة عدد هام من جنودها عن جدوى وجودها العسكري، خاصة مع

ظهور جماعات جديدة

ومع حلول 2015، ظهر تنظيم الدولة الإسلامية على خارطة الجماعات الإرهابية المتمركزة في الساحل، حيث أعلنت جماعة «المرابطون» التي كانت موالية للقاعدة في المغرب الإسلامي، بيعتها لزعيم تنظيم داعش أبو بكر البغدادي. جاء ذلك في تسجيل صوتي نُشر في شهر ماي من نفس السنة لأبي الوليد الصحراوي الذي أعلن نفسه زعيم «تنظيم داعش في الصحراء الكبرى».

وخلافاً لما حصل في سوريا والعراق من صراعات واقتتال بين الجماعات الإرهابية الموالية للقاعدة والأخرى الموالية لداعش، فإنّ التنظيمات الإرهابية المختلفة في الساحل الإفريقي خلقت تحالفات استراتيجية وتنسيقات على مستوى العمليات الإرهابية التي استهدفت بشكل خاصّ القوات الأجنبية الموجودة في بلدان الساحل إلى جانب قوات الأمن المحلية. من هنا جاءت العمليات الدامية التي استهدفت في نوفمبر الماضي قاعدة عسكرية للجيش المالي في شمال البلاد أوقعت 54 قتيلاً أو الهجوم المسلح الذي استهدف السفارة الفرنسية في واغادوغو (عاصمة بوركينا فاسو) ومقر قيادة القوات المسلحة في مارس 2018 وأسفر عن 28 قتيلاً.

من جهة أخرى، نتج عن التحالفات بين المجموعات الإرهابية الإعلان عن ولادة تنظيمات جديدة جاءت نتيجة انصهار تنظيمات داخل أخرى، حيث تمّ الإعلان في مارس 2017 عن نشأة «جماعة نصرة الإسلام والمسلمين»، وتضمّ تجمّع تنظيم «أنصار الدين» المالي بقيادة إباد أغ غالي الذي تسلّم قيادة المجموعة الجديدة وتنظيم «القاعدة في المغرب الإسلامي» وتنظيم «المرابطون» و«جبهة تحرير ماسينا» في مالي. هذه المجموعة أعلنت ولاءها لتنظيم القاعدة وقامت بالعديد من العمليات في مالي استهدفت دوريات للأمن ومقرات للجيش وأسفرت عن مقتل 250 جندياً مالياً في 2017. كما قامت بأخذ 6 رهائن أجانب من مدينة تمبكتو في جويلية 2017. وقد تمّ وضع



كل

هذه المتطلبات وأكثر تتوفر
بامتياز في برج الضيافة
الذي يقع على بعد 10 دقائق
فقط من وسط المدينة والمطار في نفس الوقت
وامتزجت هندسته المعمارية بالطابع
العربي الأندلسي وازدانت فضاءاته بتناغم المرمر
مع النقوش فيما أثرته قطع الأثاث الأصيل
والتحف بجمالية رائعة، وتبقى كل أرجائه على
اختلافها، من مقهى ومطاعم وقاعات اجتماعات
وغرف إيواء، في أبهى مظاهر الضيافة. ويقدّر
ما يشتهر برج الضيافة بحسن القبول وكرم
الوفادة، فإن مطاعمه تقدّم أرقى الأكلات من
اختصاصات صفاقسية أصيلة وأطباق
إيطالية أوروبية وغيرها، يحرص على إعدادها
أمهر الطهاة. وتوفّر غرف برج الضيافة الفسيحة
الإقامة المريحة للأفراد بكل مرافق الرفاهة
والخدمات، فضلا عن 60 شبكة تلفزيونية
بستة لغات مختلفة والترابط بالانترنت.



برج الضيافة بصفاقس لمن يبحث عن الطابع المميّز

ارتقى نزل برج الضيافة بصفاقس وهو من فئة 5 نجوم إلى ترتيبه ضمن
مجموعة «النزل ذات الطابع المميّز» Hotel de Charme من قبل وزارة
السياحة إقرارا بخصائصه الفائقة وتوجيا لمجهود تطويري مكثف، وتشترط
الوزارة لمنح هذا الترتيب العالي، المحافظة على المقومات المعمارية
والتاريخية العريقة للبنىة وإسداء خدمات مشخصة تخضع لقواعد التصرف
الفندقي المحددة وذلك وفق القرار الوزاري المؤرخ في 29 جويلية 2013.



ومن المهم الإشارة إلى أنظمة السلامة والحراسة
التي أرساها النزل مما جعله الأكثر أمنا في
الجهة، الشيء الذي يشجّع، فضلا عن الخدمات
الراقية المسدات من قبل النزل، أكبر المؤسسات
العالمية وكبرى شركات النفط على اختياره لإقامة
أفرادها. للسياحة وللأعمال يبقى برج الضيافة، خاصة
بعد ارتقائه إلى مجموعة النزل ذات الطابع المميّز،
الوجهة المثلى لكل من يزور صفاقس إذ ينعم بطيب
الإقامة في فندق يجمع بين التراث المعماري الأصيل
ورفاهة الغرف، ومرافق قاعات الاجتماعات وألذ
الأطعمة والأكلات.



الضيافة
Borj Dhiafa
HÔTEL DE CHARME

برج الضيافة نزل ذو طابع مميّز
طريق سكرة كلم 3 - 3052 صفاقس
الهاتف: +216 74 677 777
الفاكس: +216 74 676 777

• ديدو تنقذ حيلة جلد الثور - نقش على الخشب - القرن التاسع عشر



• قرسينو - موت ديدون



• ويليام تورنير - عليسة تشيد قرطاج



أسطورة تأسيس قرطاج وصداها العالمي في الأدب والفنون

لكل مدينة تاريخية أسطورة تأسيس تتفرد بها. تروي الظروف والوقائع التي حفت بنشأتها وبيداياتها، وتستعرض بكيفية ملحمة بطولات وتضحيات من كان لهم. حسب الأسطورة، الشأن الأكبر في تأسيسها وتحقيق مناعتها وثروتها، وبصرف النظر عن أهمية الحيز الذي تتخذه الخرافة في صياغة هذه الأساطير المؤسسة، وضعف الخيط الذي يربط في عديد الأحيان، بين الجوانب الميثولوجية فيها والوقائع التاريخية المثبتة، فإن كل أسطورة من هذه الأساطير تكتسي أهمية رمزية بالغة بالنسبة إلى أهالي هذه المدن. وهي تمثل خلفية معنوية مشتركة تتوارثها الأجيال المتعاقبة منذ القدم، تنمي لحمتها وشعورها بالانتماء، تغذي مخيالها الجمعي وتجعلها تعتر بالقيم والبطولات التي كانت وراء نشأة المدينة.



• بquam بويكر بن فرج

أنت

الأسطورة الخاصة بتأسيس مدينة قرطاج في ما يبدو على رواية فينيقية قديمة لم يبق لها أي أثر مكتوب. وقد وصلت إلينا في زمن لاحق عن طريق عدد من المؤرخين الإغريق أقدمهم تيمابوس الصقلي الذي عاش فيما بين 340 و250 ق م. تقول الأسطورة حسب رواية هذا المؤرخ، إن الأميرة الفينيقية عليسة قررت الفرار بحرا من مدينتها الأصلية صور رفقة عدد من أعيان المدينة، وذلك توجسا من شقيقها بغماليون، بعد أن قام هذا الأخير بالاستيلاء على حكم المدينة واغتيال زوجها عاشرياص، كاهن معبد الإله ملقرط غدرا، سعيا منه إلى وضع يده على ثروته الطائلة.

حطت الأميرة الهاربة رحالها لمهلة بجزيرة قبرص، قبل مواصلة رحلتها البحرية نحو سواحل الشمال الإفريقي مصطحبة معها ثمانين فتاة عذراء من بنات الجزيرة. ولما بلغت مقصدها، استقر قرارها على تشييد مدينة جديدة في مكان اختارته

لها، وذلك بعد موافقة أهالي المكان اللوبيين على تمكينها من الأرض اللازمة لإنشاء المدينة، مقابل إتاحة معلومة تدفعها لهم. وقد لجأت عليسة حسب الرواية، إلى المناورة باستعمال حيلة جلد الثور للحصول على ما يكفي من الأرض لبناء مدينتها الجديدة «قرط حذشت». وما إن استقر لها الأمر، حتى رغب القائد اللوبي يرباص من عليسة الزواج منه. لكنّها رفضت عرضه مفضلة عن ذلك التضحية بحياتها بالقاء نفسها في النار، وفاء لروح زوجها الأول عاشرياص من جهة، ودرءا للعداوة التي يمكن أن تنشأ بين قرطاج والسكان الأصليين بسبب رفضها الزواج من قائدهم.

ولئن انتشر صدى أسطورة تأسيس قرطاج بكيفية واسعة جداً منذ العهود القديمة إلى يومنا هذا، فذلك يعود بالدرجة الأولى إلى أن عملية تأسيس قرطاج وإمبراطوريتها تم بإرادة امرأة، وهو ما يمثل استثناء في أساطير التأسيس القديمة، التي من النادر جداً أن تتخذ فيها امرأة أدوار مبادرة القيادة.

أما العامل الثاني الذي أسهم في هذه الشهرة، فهي الملحمة الشعرية الخالدة «الإنياده» التي استوحى فيها أمير الشعر اللاتيني فيرجيل (19 - 70 ق م) من الأسطورة الأصلية، قصة حب خيالية من الجنس التراجميدي، ربطت بين مؤسسه قرطاج عليسه - أو ديدو كما سماها فرجيل - والقائد الطروادي إينياس، الذي اضطرته مشيئة الآلهة لما كان هاربا بحرا مع مرافقيه نحو إيطاليا، بعد تدمير مدينته طرواده من قبل الإغريق، إلى تحويل وجهته نحو سواحل الشمال الإفريقي و النزول بما تبقى من أسطوله بالشواطئ القريبة من قرطاج.

وما إن أتحت لإينياس إثر نزوله الاضطرابي بالقرب من قرطاج فرصة مشاهدة المدينة الجديدة، حتى انبهر بعظمتها وازدهارها، فوصفها لرفاقه: « هي مدينة عظيمة حقا ذات أبواب جبارة وشوارع تسير فيها الجموع وتحتشد... كان منهم القائمون على بناء الأسوار والقلاع، يدرجون لذلك الحجارة الضخمة بأيديهم، بينما عمد غيرهم إلى تخطيط أمكنة المنازل... كما كان

• جدارية من العهد الروماني عثر عليها بموقع بومبيي تمثل ديدو جالسة على عرشها



TIGGO 2

TIGGO 2

LAISSEZ-VOUS
SURPRENDRE
AU QUOTIDIEN



Showroom DISTRICARS Sfax : Rue Pavlov, Z1 Poudrière 1 Sfax
Tél. : +216 74 286 285 - Fax : +216 70 032 800
E-mail : contact@districars.tn
www.chery-tunisie.com

Showroom STA Tunis : Z1 Borej Ghorbel - 2096 Ben Arous Turvoise
Showroom STA Sfax : 30 Rue Taib Mhar, Immeuble 4 Saisons
Tél. : +216 31 390 290 - Fax : +216 31 390 301
E-mail : contact@stautos.tn
www.chery-tunisie.com



• نارسيس قيرن- إينياس يروي سقوط طرواده لديدو



أول أوبرا من الحجم الكبير في تاريخ الموسيقى الأندلسية، لا تزال اليوم مثل ما كانت بالأمس، حاضرة بقوة في مختلف مسارح العالم.

كما خلدها الموسيقار الفرنسي الكبير برليوز (1803 - 1869) في عمله الملحمي التراجيدي الشهير «الطرواديون في قرطاج» الذي يعد من أبرز أعماله وأكثرها رواجاً في العالم.

أما في مجال الفنون التشكيلية، فنجد لأسطورة تأسيس قرطاج لدى كبار الرسامين والنحاتين وفي مختلف المدارس الفنية المعروفة، حضوراً مكثفاً وبالخصوص منذ عصر النهضة الفنية الأوروبية في القرن السادس عشر، وصولاً إلى الأجيال المتتالية من الفنانين الكلاسيكيين الذين أفردوا أسطورة عليس - ديدو - بعشرات اللوحات والتماثيل والمحفورات والمنقوشات المعروضة بأشهر متاحف العالم.

أعمال يصعب إحصاؤها لكثرتها، كلٌ منها يقدم من زاويته وبأسلوبه، أسطورة يرتبط فيها مصير امرأة استثنائية بنشأة مدينة من أعظم مدن العالم القديم. أسطورة قديمة جدا تعود إلى آلاف السنين، لكنها لا تزال تتخذ على مر الأجيال، مكانة أساسية في صقل الذات المعنوية لجميع التونسيين. ■ ب.ب.ف

أمامها بعد ذهاب عشيقها دون رجعة، غير خيار الانتحار، فطعنت نفسها بنفس السيف الذي أهدها إياها إيناس قبل أن تلقي بنفسها في محرقة أقامتها تحت أسوار قصرها.

لا تكمن أهمية الإنيادة التي خصّ فرجيل إحدى عشرة سنة من حياته لكتابتها، في جماليتها الشعرية الفريدة فحسب، بل وأيضاً في كونها ألّفت ضمن بناء تراجيدي موحّد على غاية من الإيقان، بين ثلاث أساطير مختلفه، تتصل أولها بحرب طروادة والثانية بتأسيس قرطاج والثالثة بتأسيس رومه. وعلى الرغم من أنّ هذه الأساطير متباعدة عن بعضها زمنياً وجغرافياً، فإنّ فرجيل ربط بين عناصرها ضمن عمل ملحمي درامي متجانس، تتقابل فيه قوى السلم والمحبة ونوازع الحرب والعداوة، وتصطدم فيه إرادة الآلهة وقدراتها الخارقة مع طبائع البشر ومشاعرهم. ذلك ما جعل الإنيادة حتى يومنا هذا معينا تتغذى منه أومثالا تقتدي به عديد الكتابات التراجيدية والأعمال الفنية الكبرى في مجالات الموسيقى والرسم والنحت والمسرح والسينما. خلدها عمالقة الموسيقى الغنائية في العالم، ولا سيما في مجال فن الأوبرا، على غرار الموسيقار الإنكليزي بورسال (1659 - 1695) الذي تعتبر أوبرا «ديدو وإينياس» أروع أعماله الموسيقية الاستعراضية على الإطلاق، وهي تعتبر زمنياً

منهم من يحفر الموائن، ومن يبني أسس المسرح ومن يصقل الأعمدة الرخامية الضخمة. كانوا أشبه بالنحل الدائب... يا لسعادة أولئك الذين يجدون مدينة إيوانهمم «(الإنيادة - السفر الأول)

أحسنت ديدو استقبال الأمير الطروادي لما نزل بمدينتها وكان ذلك بتدبير خفي من إلهة الحب والجمال والخصوبة فينوس، وأسندت له حمايتها ووفّرت له أفضل ظروف الإقامة. وقد وصل بها الأمر إلى أن عرضت عليه الاستقرار النهائي بقرطاج والإسهام في تشييدها. ثم ما لبث أن تطوّر الأمر بين ديدو وإينياس إلى علاقة غرامية جارية، أنست مؤسسة قرطاج وملكتها حتى وفاءها لروح زوجها الأول. علاقة بلغت ذروتها عند اختلاء العشيقين ببعض بأحد الكهوف القريبة من المدينة.

ينهي الشاعر فرجيل هذه المغامرة العاطفية العاصفة بصفة مأساوية، حين يأذن الإله جوبتر، وهو أقوى آلهة الرومان، لإينياس بالرحيل الفوري عن قرطاج وترك ديدو وشأنها، والإبحار نحو إيطاليا حيث يرتبط مصيره المحتوم بتأسيس مدينة روما ونشأة إمبراطوريتها.

لم يكن لإينياس اختيار غير ما اختاره له جوبتر، فقرر الرحيل عن قرطاج مضطراً، ولم تجد ديدو

وهو يصدر من نظام اتّسم بالتّوحد والانقطاع عن الرّأي الآخر فما بالك بالصّوت النّاقذ والنّقد يبقى في المخيلة الفكرية لمجتمعاتنا وبالذات في مخيلة السّاسة، خطيئة وكبيرة من الكبائر يُنفى مرتكبها في غياب التّهميش والنّسيان،

وهما أنّ النّقلة السّياسية والاجتماعية والثّقافية بعد 2011، قد تكون غيرت المعطيات في العلاقة البيئية التي تربط بين الإدارة الثّقافية من جهة وبين الرّأي والنّقد من جهة أخرى، فإنّ هذه الإدارة لم تسلّم بالبدائل «العلاقاتية» في التعامل مع السّاحة الثّقافية والفكرية بشكل عامّ. فقد بقي مفهوم الاستشارة والتّشاور والشراكة مع الفكر النّقدي وكذلك مع قوى الإنتاج الثّقافي مفهوما عمودياً ينطلق العمل به وفق مرجعيّات الأطر السابقة ويرسخ مفهوم «الحقيرة» وصولاً إلى الإقصاء الذي يتظلم بظاهرة اتّخذت بعداً على قدر كبير من الخطورة. وهي ظاهرة التّكريم في نسق «البيع بالجملة» التي تصرّف في بلاغة التّشيط «المهرجاناتي»، بـ«التّكريم بالجملة» والتي تنتج الصّورة النّمطية الرّاحفة فتشعل شموع العرفان والتّهليل والتّعظيم.

هي تكريمات بدروع «إيقوناتية» هشّة وخالية من أيّ خلفية فكرية ومن أدنى مؤشّرات الجدارية الفنّية والفكرية التي تبرّر إسنادها.

التّكريم، ما التّكريم؟

التّكريم كما هي العادة في البلاطات الثّقافية، تسليم مخطوط تشعل حروفه «الخشبية» آلة افتراضية على ورقة بائسة يصحبها إكليل أو درع أو «تانيّة» تسلّمه يدان «مباركتان» وينتهي الأمر ليعود المبدع إلى معاناته وإلى مصارعة طواحين المماطلة والتّسويق وتزداد المعوقات دورة التنمية المؤجّلة دوماً، فتنسّد من جديد مسالك الأمل.

هي «تولّيّة» (installation) سياسيّة بالمعنى الإيديولوجي لم تعد تليق بورثة الألفيات الثّلاث. قلت لم تعد تليق؟ كلاً بل أقصد أنّها لم تعد تنطلي...!

ف.ب.م.

انطلق المهرجان الوطني للمسرح التّونسي في حركة تشييطيّة للعرض المسرحي وفق اتّجاه ذي رمزية هامة. ففي حين كان أسبوع المسرح ينطلق من الجهات وصولاً إلى المركز، اختار المهرجان أن يتخذ مسلكاً عكسياً فأعلن افتتاحه في مدينة الكاف وتفرّع بعد ذلك ليغطّي الولايات الأربع والعشرين للبلاد.

ذلك أنّ للكاف رمزية اعتبارية كمهد لتوالد الفرق المسرحية الجهوية وكحاضنة لمشروع مقاومة ثقافة المركز الذي دعت إليه، في 1969، مجموعة من المهتمّين بالشأن المسرحي من بينهم المنصف السّويسي وهذه الدّورة التّأسيسية للمهرجان تحمل اسمه تكريماً لمبادرته ولمغامرة لامركزية المسرح التي حملتها الفرق المسرحية الجهوية كرسالة سعت إلى بثّها وإلى إفادة عدد كبير من الجماهير في الجهات. وعلى الرّغم من أنّ المنصف السّويسي لم يذهب شوطاً كبيراً في المغامرة وإذا ما لبث أن رجع إلى المركز صلب فرقة مدينة تونس للمسرح التي سبق وأن قاوم ثقافة المركز بالذات في إطارها، كموقف من تجربتها. ثمّ وفي 1983، أسس المسرح الوطني في المركز واستقطب خيرة الممثلين والفنّيين العاملين في الفرق الجهوية وحول دفة مشروع الأصيل فيما يتعلّق باللامركزية المسرحية من الأطراف إلى المحور.

مرجعية هجينة

لعلّ ذلك ما يجعل مرجعية الكاف التي استحضرتها الدّورة التّأسيسية للمهرجان مرجعية هجينة لا توفّي بالمدلولات التي تسند اللامركزية المسرحية من حيث هي مطلب نابع من الأطراف يطمح إلى التّمتع بالحقّ في الفرقة المسرحية بالنسبة إلى الجمهور وحق المبدعين في ملامسة الخصوصيات الجهوية كمبحث إبداعي يطوّرون في مخبره تجربتهم وأحلامهم وطروحاتهم.

كانت المدونة النّقديّة لفترة بوادر انحلال الفرق الجهوية قد نبتت إلى مجموعة من النّقاط تشير أهمّها إلى هشاشة تركيبة الفرق المسرحية الجهوية والأنيما في التّجهيزات والبنى التحتيّة التي تمكّنت منها وفكّكت أعمدتها، إلّا أنّها قوبلت بالصّمت والتّجاهل ممّا أدّى إلى اضمحلالها وانداؤها. ولم يكن ذلك مستغرباً

المهرجان

الوطني للمسرح التّونسي وحسب إعلان النوايا، جاء ليعيد استثمار الرّصيد الفكري للتّجربة المسرحية في الجهات وليؤسّس لها أطراً جديدة ومستحدثة هي المراكز الوطنية للفنون الدّرامية والرّكحية. المرجعية التاريخية هي تظاهرة أسبوع المسرح التّونسي الذي امتدّ من أواسط السّتينيات إلى أواخر الثّمانينيات والذي كانت حركية الفرق المسرحية الجهوية وإنتاجاتها بمثابة العمود الفقري لبرمجته.

وكان النّقاد قد طالبوا بإحياء أسبوع المسرح لأسباب عدّة أهمّها أنّ هذه التّظاهرة كانت محملاً لصياغة فكر مسرحي يرافق التجربة الإبداعية ويسندها من خلال النّقاشات التي كانت تتبع العروض المسرحية وتجمع بين المبدعين والتّقنيين والنّقاد وحتى في أحيان كثيرة أصحاب القرار في الإدارة الثّقافية. ولعلّ هذه النّقاشات هي التي شكّلت ما بين أواسط السّتينيات وأواخر الثّمانينيات، الحزام الجماهيري الذي كان يتشوّف للتّجربة المسرحية ويتابعها باهتمام والذي أنشأ نواة لظاهرة الارتياح المنتظم والمكثّف للعرض المسرحي في مهرجان أيام قرطاج المسرحية. ولعلّ التفكير في إحياء أسبوع المسرح كان الهدف منه محاولة استقراء التّغيّرات الحاصلة في الشأن المسرحي في أعقاب اندثار أسبوع المسرح.



أية حصيلة للمهرجان الوطني للمسرح التّونسي؟

أسدل الستار في أواسط الشهر الماضي على محطة أخرى من المحطات الثّقافية بعد أن تواصلت فعالياتها على امتداد شهرين، وهي محطة متقاربة مع مهرجان أيام قرطاج المسرحية، حيث لا يفصل بين الإثنين سوى شهر واحد وقد تزامنت مع تظاهرات أخرى كأيام قرطاج للفنّ المعاصر الذي تزامن حفل افتتاحه مع اختتام المهرجان الوطني للمسرح التّونسي وتمّ في نفس الفضاء في صلب مدينة الثقافة وأيام قرطاج للهندسة المعمارية... نسق متسارع ذلك الذي تقام على إيقاعه التظاهرات الثّقافية، على الرّغم من أنّها تمثل فرصاً هامة للمبدعين والمنتجين، باختلاف مشاربهم وتعبيراتهم. لملاقاة جماهيرهم ورؤادهم وللتلاقي فيما بينهم قصد تبادل تجاربهم ومشاعرهم وعلى الرّغم من أنّ بعض هذه التظاهرات المحدثة تحت يافطة المرجح الحضاري لقرطاج تنسّم بالإسقاط المجاني والتكلف.



• بقلم فوزية بلحاج المرّي



منجى الشملي أستاذ الأدب المقارن بالجامعة التونسية



• بقلم رشيد القرظوري

من نافلة القول إن للثقافة دورا مهما في تقويم السلوك وتهذيب النفوس. وكم نحتاج في وطننا اليوم إلى مدّ ثقافي يعدّل من سلوكنا ويهذب أخلاقنا ويضفي شيئا من التسامح على علاقاتنا وخاصة على حياتنا السياسية التي تحتاج اليوم إلى مسحة من الأخلاق الفاضلة ترتفع بها من القاع الذي تردّت فيه. وقد سمعت هذا الكلام ومثله من الأستاذ منجى الشملي قبل وفاته بأيام وقرأته في كتاباته المختلفة ككتابه عن الثقافة التونسية وغيره.

قل

رأيت وثلة من طلبته وزملائه أن نحبي ذكرى وفاته الثالثة بجملة من الكتابات نسترجع فيها ما علمنا أستاذنا من قيم لعل أشهرها الانفتاح الثقافي وحوار الحضارات والتعامل مع كل اللغات على قدم المساواة. أنها بعض مبادئ الأدب المقارن الذي أدخله الأستاذ إلى الجامعة وناضل من أجل استمراره واعتماده منهجا من مناهج البحث العلمي.

وبدا لي أن أكتب هذا المقال تحية لروحه ولأذكر بجهده المقارن وبعض دروسه، على أن أختمه بنشر قصة قصيرة له عنوانها «ميثاق السفينة» لعلي بهذا التّزر اليسير أردّ له بعضا من جميله.

ترجمة مخصصة جدا لمنجى الشملي

هذه ترجمة ذاتية غيره أي ترجمة غير موضوعية لأستاذي بل لعلي سأترجم لنفسي من خلال ترجمتي له. إنني أعترف بأنني لا أستطيع أن أكون موضوعيا وأنا أترجم لشيخي بل أتذكر أن حتى بعض من خاصمه بشراسة يعترف لي سرا بأن الجامعة قد بنيت على كنفه وأكتاف جيله.

في أواخر الستينات كان سي المنجى يمرّ بدكان والذي قبل كل سفرة له فيقتني جبتين يهديهما إلى بعض صحبه في باريس، وكنا نعجب كيف يجلس في الدكان ويلطف الصنّاع ويهديهم بعض المال قائلا: هذه قهوتكم. كنا نعجب لفصيح لفظه وحضور بديهته وخاصة لتواضعه. كنت وقتها لم أتجاوز العاشرة من عمري ومع ذلك كنت أنتبه لما يقول وأنفحص معاني كلامه بما تيسر لي من ذكاء قليل بل كنت أحفظ بعض كلماته أرددها على مسامع والذي المقهور بأميته المهموم بجهله فيجيبني: ربي يسامحو بابا، ما ضرّ لو الحفني بمدرسة طريق تونس أو تيبور في صفاقس؟

وكنّت وأي كلما عدنا إلى البيت غمر بكلية الآداب على هضبة الملاسين فرددّ أبي على مسمعي: نحبك تقرّي هنا كسي المنجى.

وكان دعاؤه في صلاته وهو صاحب الحجّات الكثيرة مركزا على هذه الأمنية. والغريب أنّ الله استجاب إلى دعائه والغريب أيضا أنّي كلما ذكرت هذه الحكاياه لسي المنجى تدمع عيناه مرددا: الحمد لله.

لن أذكر في ترجمتي هذه المناصب والمسؤوليات التي تحمّلها شيخي لأنها معروفة بل سأذكر ما لا يُذكر عنه عادة. فقد كانت الصفوية اللغوية كالسبة في جامعتنا وقتها وكان متهما بها ومع ذلك كان متهموه يسعون إليه في مكتبه يقرؤون عليه مقالاتهم المعدة للنشر في حويلات الجامعة التونسية وقد كان رئيس تحريرها. وكانوا يعدونها ليرتقوا بها إلى رتبة جامعية أعلى. وكنت أقول لهم إن صفويته تتجاوز الحياة العلمية إلى حياته اليومية. فهو مثلا إن خرج من مكتبه ليلا ووجد أن الممرّ مظلم يهاتف العميد أو الكاتب العام للكلية ويصرّ أن يصلح الأمر حالا أو أنه سيبست في الكلية، أما إذا وجد قاعة الدرس ملوثة ببقايا أكل الطلاب فإنه يرفض التدريس فيها فتتهول حميدة لتلميعها. والطامة الكبرى إذا أخطأت طالبة في رسم الهمة فيهددها بالصفّر والسجن وكثيرا ما كان تهديده باللغة الفرنسية فضحك ويتواصل الدرس.

كنا نتفطن في سنتنا الأولى إلى تبشيره لنا بدرس الأدب المقارن ونراه يشوقنا لمعرفة هذه الطلاسم ولما بلغنا السنة الثالثة اخترنا هذه الشهادة لفكّ أغاز هذا العلم. واستغربنا في الدرس الأول من وجود طلاب من شعب أخرى فسألني صاحبي عن الأمر وأجبتته بأنه الانفتاح الحضاري والتفاعل بين اللغات والثقافات وأضفت: ألا تعرف أنّ الثقافة المنغلقة على ذاتها مآلها الموت؟ فبهت وصمت.

كما استغربنا من تدريسه النظرية المقارنية باللغة الفرنسية لكنّه كان يفسّر ويبسط حتى تعودنا وكنا نستعين بطلبة الفرنسية وكانوا يدرّهم يستفتوننا في الدرس الموجه الذي كان يلقيه بالعربية.

وقد قرّرت من يومها أن أجمع مواضيع دروسه التي ألقاها منذ بدأ تدريس هذه المادة وحصر أسماء من درس معه وقد وجدت منه إغاثة كبرى رحمه الله.

دروس الأدب المقارن التي ألقاها الأستاذ المنجى الشملي

لقد شرع أستاذنا في تدريس الأدب المقارن في تونس منذ السنة الجامعية 72 / 1973 ضمن دروس كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتونس. أما في دار المعلمين العليا فإنه لم يشرع في تدريس هذه المادة إلا في أكتوبر من سنة 1974 بعد أن استقلت عن كلية الآداب سنة 1973.

كان الأدب المقارن في كلية الآداب يدرّس بمعدّل أربع ساعات في الأسبوع تخصص ساعة واحدة منها لقضايا نظرية الأدب المقارن وهو درس يليق به الأستاذ الشملي باللغة الفرنسية: أما الساعات الباقية فتخصص لمسألتي مقارنيتين تقدمان في شكل درس تطبيقي وستعرض فيما يلي إلى أهمّ المسائل التي كانت مقرّرة على الطلاب في هذه السنوات الأولى من تاريخ كلية الآداب.

في سنتي 72 / 73 و 73 / 74

درّس المستشرق الإسباني الكبير دي ابالزا DE EPALZA، والسيدة قلوز GUELLOUZE المسألة التالية بالفرنسية: لوسيد LE CID الشخصية التاريخية والأدبية من خلال كتابي كورناي ودي كاسترو. بينما درّس الأستاذ الشملي مسألة الرومنطيقية العربية والرومنطيقية الأوروبية باللغة العربية إلى جانب درسه حول النظرية المقارنية باللغة الفرنسية.

في سنة 74 / 75

إضافة إلى النظرية المقارنية درّس الأستاذ الشملي مسألة بعض المؤثرات الأجنبية في الأعمال الروائية للأخوين محمد ومحمود تيمور. بينما قدّم الأستاذ عبد الجليل القروي بالفرنسية درسا مقارنيا حول صورة الأجنبي عند كتّاب اليمين الفرنسي.

في السنة 75 / 76

واصل الأستاذ الشملي في هذه السنة إلقاء درس السنة الفارطة حول الأخوين تيمور.

تذوق أكثر

مع الخطوط الجوية التي
تسافر إلى بلدان أكثر من أي شركة طيران أخرى



TURKISH AIRLINES

تايلاند

الصدى في إقبالهم على انجاز بحوث جامعيه
مقارنيه في مستوى شهادة الكفاءة في البحث أو
شهادة التعمق في البحث تخوض في قضايا طريفة
غير معهودة. فالأستاذ صديقنا فؤاد القرقوري
مثلا أنشأ بإشراف الأستاذ الشمالي رسالة مقارنية
هامة حول رواية بول وفرجيني من تأليف غي
دي موباسان ورواية الفضيلة للمنفلوطي.

ونريد في خاتمة مقالنا هذا أن نصف بإيجاز الدرس
النظري المقارني للأستاذ الشمالي كما شهدناه .
ينطلق الأستاذ في هذه المسألة من تعريف
الأدب المقارن من حيث النشأة والتطور مركزا
على أن البداية كانت بالموازنة بين الآداب أي
المقارنه بين الأدب الإغريقي والأدب اللاتيني
ثم ينتهي رافضا الموازنة بقسولة إيتيامبل
ETIEMBLE : Comparaison pas raison
ويعني بها أن الأدب المقارن ليس الموازنة بين
الآداب إنما هو البحث عن حوار الآداب وتلاقحها .

وفي بداية الدرس يلجّ الأستاذ على أن تدريس
هذا العلم لا بد أن يبدأ بذكر امرأة يصفها بأنها
زعيمة الأدب المقارن هي السيدة دي ستال De
Staël صاحبة كتاب ألمانيا De l'Allemagne
ثم يصف صالونها الأدبي في جنيف وحياتها
الأدبية فيه. إن هذا الصّالون كما يقول هو المهّد
الأول لعلم الأدب المقارن ثم يعرّفنا بأهم رواده
مؤكدًا أن هذا العلم فرنسي في منطلقه. وبعد
الرّواد جاء المنظرون ومن بينهم الفرنسي بول فان
تبخام Paul Van Tighem ثم تطوّر هذا العلم
عبر السنين حتّى أصبح له أعلامه المشهورون
في كلّ العالم .

وكنا نظرب لهذا العلم ونتتبّع أستاذنا وهو
يعرّفنا بمنهجه واختصاص المنظرين فيها وعداء
المدرسة الأمريكيه للمدرسه الفرنسيه، وإذا نحن
مع الأستاذ نجوب مجالات الأدب المقارن من
ميدان المؤثرات إلى ميدان المقابلات والأجناس
الأدبية وغيرها معجبين به لأنه علم حوار الآداب
والثقافات مع قانون ثابت فيه وهو لا وصاية
لأدب على آخر ولا حضارة على أخرى.

واستكشفتنا في هذا الدرس أنّ للأدب العربي كثافة
لا يستهان بها وعناوين شرف كثيرة وأعلاما. وأنّ
له مستقبله في العالم الأدبي كما تعلمنا أن التسامح
هذا بعض ما استخلصناه إيجازا دون استيفاء
من دروس منجي الشمالي في الأدب المقارن ولا

الصدى في إقبالهم على انجاز بحوث جامعيه
مقارنيه في مستوى شهادة الكفاءة في البحث أو
شهادة التعمق في البحث تخوض في قضايا طريفة
غير معهودة. فالأستاذ صديقنا فؤاد القرقوري
مثلا أنشأ بإشراف الأستاذ الشمالي رسالة مقارنية
هامة حول رواية بول وفرجيني من تأليف غي
دي موباسان ورواية الفضيلة للمنفلوطي.

كما أنشأ الأستاذ القرقوري رسالة أخرى بإشراف
الأستاذ الشمالي حول أهم مظاهر الرومنطيقية
العربية ومصادرها الأجنبية، بينما أعد صديقنا
عمر الإمام مع الأستاذ الشمالي رسالة مقارنية
حول مصادر الشاعر التونسي أبي القاسم الشابي
, وأنجز محمد عبد الغني رسالة حول فرنسا
في كتابات رفاعه رافع الطهطاوي بينما أشرفت
السيدة فلوز على رسالة الأستاذ المسعودي حول
بقماليون بين مسرح برناردشو ومسرح توفيق
الحكيم.

ثم تكاثرت الرسائل المقارنية منها: صورة المرأة
الأوروبية في الرواية العربية المعاصره ورسالة
الضحك في بخلاء الجاحظ ورسالة بخيل مولير.
ومن أصداء هذه الدروس كذلك انتشار تدريس
الأدب المقارن داخل الجمهورية وفي مختلف
جامعاتها، فقد انتدب للتدريس فيها أساتذة
شبان هم من طلبة الأستاذ الشمالي، ففي كلية
آداب القيروان قرّرت مادة الأدب المقارن على
الطلبة منذ سنة 1989 درّسها زملاء أجلاء نذكر
منهم: الزميل الحبيب شيبيل والمرحوم حمادي
الزكري ثم تولينا تدريس الأدب المقارن حتّى
سنة 1999 .

كما لا يفوتنا أنّ نذكر أن لهذا الدرس المقارني
في الجامعه التونسيه صدى في بعض الكتب
المقارنية الشرقية وغيرها نذكر منها على سبيل
التمثّل لا الحصر كتاب سعيد علوش: «مكوّنات
الأدب المقارن في المغرب العربي»، والكتاب في
الأصل أطروحة دكتورا دولة ناقشها صاحبها في
جامعة السوربون .

ومن المعلوم أنّ برامج هذه الدروس المقارنية
التي أقيمت في الجامعة التونسية من سنة 1972
إلى سنة 1978 مسجّلة في جامعة السوربون
وبالتدقيق في معهد الأدب المقارن من خلال

وألقى الأستاذ بيك M PICH درسا موضوعه
التاريخ السياسي في الشعر الأوروبي في القرن
التاسع عشر.

في السنتين 77 / 76 و 78 / 77

قدّم الأستاذ الشمالي درسا عنوانه : «طه حسين
والفكر الفرنسي». حلل فيه علاقات الأديب المصري
بالتيارات الفكرية الغربية. وألقت السيدة ديستور
DUSSUTOUR درسا عنوانه: أسطورة التحولات
في القصّة من خلال الأدب العجائبي والأمعقول.

في السنتين 79 / 78 و 80 / 79

درّس الأستاذ الشمالي مسألة الرومنطيقية العربية
في علاقاتها بالرومنطيقية الأوروبية . بينما درّست
السيدة فلوز مسألة الجنون في المسرح الأوروبي
من خلال كتابات سوفوكل وشكسبير. كما ساهمت
السيدة باردي بدرس حول مظاهر «التحوّل في
الأقصوصة الأوروبية» من خلال كتابات موباسان
وتشيكوف. مع التذكير بأنّ الأستاذ الشمالي حافظ
على تنسيق هذه الدروس والإشراف عليها والتنظير
لها بالفرنسية .

في السنة 81 / 80

شهدنا دروسه هذه السنه فعليا بعد أن تابعناها
قبل ذلك كمعزّمين بالمادّة . وفي هذه السنه خصّص
الأستاذ الشمالي السداسية الأولى لتقديم مدخل
نظري حول الأدب المقارن وقضاياها ومنهجه
ومجالاته أمّا السداسية الثانية فقد خصّصها
لتقديم مسألة تطبيقية عنوانها: «صورة فرنسا
في أدب طه حسين» . وقد انجزنا فيها عرضا نال
إعجابه حول الفن الفرنسي في كتابات عميد
الأدب العربي. وحملتنا السيدة باردي إلى
عالم المغامرة مع مسألة عنوانها : المغامرة في
الرواية الأوروبية في القرن العشرين من خلال
نص لكونراد Conrad عنوانه قلب الظلمات
«Cœur des ténèbres» بينما قدمت لنا السيدة
فلوز مسرحية أنطيوخون لسوفوكل.

وكانت لهذه الدروس المقارنية صدى عميق
في الكلية فقد استغرقت ربع قرن وتابعتها عدد
لا يستهان به من الطلاب.....وقد تجسّم هذا

ولا يفوتني في خاتمة المقال أن أذكر أنّ منجي الشمالي هو أول تونسي انتخب في المكتب التنفيذي لليونسكو ومن سنوات ولكنه لم يحفل بالحملات الدعائية لنجاحه هذا بل اعتبره طبيعياً وخليقاً بتونس ومثقفياً وقد كان رئيساً للجنة الوطنية لليونسكو في نهج انقلترا بالعاصمة ومدير معهد علوم التربية بتونس ولكن بتواضع العلماء لم يكن يعدد هذه المسؤوليات ولا يحب من يعددها له بفخر واعتزاز...
رحم الله الجميع

ر.ف.

القصة لكل من يعارض النظام. وبعد سنوات أعاد منجي الشمالي نشر القصة القصيرة هذه في مجلة الفكر التي أسسها مزالي وأدارها. ورغم أن المنجي الشمالي غيّر في القصة قليلاً فإنّ مزالي واصل عداؤه له وتدخل لدى الرئيس بورقيبة في مطلع الثمانينات حتى لا يعين منجي الشمالي وزيراً للتربية بتعلّة أنّه يجمع إمضاءات لعريضة تدعو إلى العفو عن أحمد بن صالح الفار من السجن اثر فشل تجربة التعاقد في تونس والغريب أنّ ما وقع لابن صالح وقع لمزالي. أمّا منجي الشمالي فقد توفي في بيته بين أفراد عائلته ودفن في الجلاز من ثلاث سنوات معزّزاً مكرّماً.

يفوتنا أن نذكر أن الأستاذ منجي الشمالي مبدع كتب في القصة القصيرة ونستحضر هنا أول نصّ كتبه بعنوان: «ميثاق السفينة»

يبدو أنّ النصّ لم يرق للطبقة الحاكمة وقتها. وقد نشره صاحبه في مجلة التجديد التي أسسها مع بعض زملائه في الجامعة فعملت على إيقاف المجلة بسبب النصّ وغيره. فلقد اعتبرهم النظام الحاكم شيوعيين أو قرييين من الشيوعية أو تقدّميين فقرّر منعهم من الكلام والكتابة وحتى زيارتهم الليلية لبيت محمد مزالي لم تجدهم نفعاً بل هددهم بالويل والثبور ونصب المشائق في



ميثاق السفينة

على وجهه نظارات سوداء من خجل حاله أو كأنّه الحلم فتحسبه غائباً تائها.

وما كادت السفينة تخلص من ميناء «حلق الوادي» حتى تحركت الريح في غير رفق، وطفقت عاصفة شديدة مهددة، وإذا بأمواج البحر كأنّها الصور يُنفخ فيه، والسفينة كأنّها الرّيشة تعبت بها الأعاصير، أو كأنّها الرّاكصة مسّها الجنون، حتى لا انسجام في حركتها ولا اتزان...

كانت السفينة محمومة، في حركتها التقلّب يمنة ويسرة، فيها الكرّ والفرّ وفيها النّصب والرفّع... والمسافرون في أمرهم خياري، ذاهلون، قد لزموا كراسيهم أو ألزمهم الدّوار كراسيهم. وأسرع الخوف إلى نفوسهم أو أسرعت نفوسهم إلى الخوف. وكان اصطخاب أمواج البحر يزواج الأنين

عرفته على ظهر السفينة «مدينة الجزائر» في يوم من أيّام سبتمبر 1956، وقد أخذ الصّيف الثّقيل يُولّي فيدفعنا دفعا إلى خريف لزج عبوس متقلّب. أقلعت بنا السفينة أثناء الصّبح، ولم نكن مطمئنين إلى أحوال الطّقس، وقد حُشرنا حشرا فظيحا «بالدرجة الرابعة» على المقاعد المستطيلة، راحلين إلى فرنسا في طلب العلم.

وكنت في قعر السفينة معتزلاً بمكان قصيّ ضيق، إذ بشابّ طويل أسمر اللون، يجتهد في فتح كرسيّه المستطيل، ويرقي عليه، وقد أضناه الرّوحام، ويقول: لست أدري هل نحن في سفينة أم في اصطبل؟

وجلس سميّر، وشرعنا في الحديث، فإذا هو حسن الخلق، سمح النّفس، وإذا هو على أدب في غير تصنّع، ولطف في غير ميوعة، لو ما تسبّغه

ATL Leasing, L'allié de votre succès



ATL LEASING

ATL Leasing, vous offre la possibilité de louer les biens dont vous avez besoin pour votre activité pendant une période pouvant atteindre 84 mois. En fin de période vous en devenez propriétaire.



Plus qu'un leasing...

NOUVELLE IMAGE DÉBALLÉE MÊME SERVICE INÉGALÉ



وشقائهم ! واضطرت أمي - لحاجتنا - أن تعمل في بيته، تنظف المنزل، وتغسل الثياب، وتطعم الدجاج، وتحلب البقر... وكان هو دائم الشتم، متواصل الغضب، ملحا في رفع الصوت بالتأنيب، ملحا في الأمر والنهي. وكنت، إذا رجعت من المدرسة، أقبلت على إعانة أمي في عملها، عطا عليها ورفقا بها، فأكوي الثياب، وأحضر القهوة التي تُشرب بعد العشاء - يشربها أهل البيت - وكنا لا نتعشى إلا إذا تعشى سادتنا، فنأكل الحُتامة، ونشرب الشُمالة، ثم نصرف إلى بيتنا الحقيق العاري، وقد مضى أكثر الليل. وكنت إذا أويتُ إلى الحصار البالي، أفكر فأطيل التفكير في أمر والدي وأمري. وكنت فيما بيني وبين نفسي أتور على ذلك «الغني»، وأتور على «قسمة الأرزاق». تعاودني الفكرة الحزينة ويطول بي الليل، وأكبُّ العبرات حتى أغصُّ بها، وقد تنفجر من حلقي فأجهش بالبكاء، فأبكي وتبكي أمي.

ولما انتقلتُ إلى المدرسة الثانوية، كنت إذا خرجت من الدرس، أسرع إلى قاعة بعض الحلاقين، حيث أشتغل بقية يومي لأكسب ما يُعيننا على الظفر بقوتنا، وعبثا جهدت في أن أفوز بمنحة من «إدارة التعليم العمومي» يومئذ، لأي عدمت الوساطة. وكانت الوساطة كل شيء!...

وكنت كلما ازدادت حالنا ضيقا، ازدادت عزيمة على مواصلة الدرس، حتى أدفع الفقر من هذا المنزل دفعا، وأحرر أمي من عبودية «الغني» تحريرها، وأعيش عزيزا كريما.

قلت: هل يابق الإنسان من مُلك ربه؟ أرضنا فيها الفقر والمرض والجهد. في بلادنا سمير في كل مكان، في كل مدينة وفي كل قرية وفي كل حي آلاف وآلاف من سمير، بل وفي كل تونسي سمير أو شيء من سمير، والواجب على بلادنا - وقد استقلت - أن تُعين كل سمير على تحقيق حياة كريمة وشخصية كريمة، الواجب على الدولة أن لا تغتال هذا الشباب المحروم...

وتواثقتا على أن المشاركة في إنقاذ هذا الشباب المحروم أمر متحتم على من أفلتوا من الحرمان وأسعفتهم الصدفة... وكان بيننا ميثاق موعده بعد الهجرة...

وأقمنا معا في باريس سنة دراسية، بلونا فيها الحياة بحلوها ومرها، أقبلنا فيها على الدرس وعلى معرفة الناس والمجتمع...

ورجعنا إلى تونس، وشغل كل منا عن الآخر بما تفرضه عليه بداية الاستقرار من ملاسبات...

والتحق سمير ببعض الإدارات يعمل موظفا ساميا، لا يأخذ أجرا ضعيفا مياومة كما كان والده، ولكنه يأخذ «مرتبا» عاليا مشاهرة.

ورغبت في مقابلته وفاء ميثاق السفينة.

المنبعث من ألواح السفينة، هذه التي تصارع الريح فلا تصرعها، وتقارع جبال الأمواج فلا تفرعها.

ويتشبث الناس بأعمدة السفينة، ويستغيثون بالله مُجريها ومُرسيها، ويستجدون بالأمهات والآباء، ويستوون في المنزلة الإنسانية، وفي تفاهة الشخصية إزاء الخطر المهدد بالفناء والمترجم عن عبث الحياة.

وكنت أنا وسمير قد جمدنا في مخدعنا الخشن، وكان الدوار قد استبد برووسنا، وعجزت أقرص الدرامامين عن إسعافنا، فكان القيء يعاودنا من حين إلى حين...

وطالت بنا ساعات بين زمجرة الريح، واصطخاب أمواج البحر، وأنين ألواح السفينة والدوار والقيء، حتى إذا دنا الأصيل، هدأت العاصفة، وكأنيما أصيبت بفتور تسربت عدواه إلى البحر فسكنت أمواجه وسكن، وعادت السفينة إلى سيرتها الأولى فاستقامت في سعيها، وثاب إلى الناس بعض رشدهم، بعد امتحان عسير...

وصعدنا على الجسر، طلبا للهواء النقي، فلاحنا لنا أنوار سردانيا متلائة كأنها جوهرات عقد نظم، والناس يشيرون بالأصابع إلى الجزيرة كأن حنينهم إلى اليابسة قد برح بهم..

وكانت ساعات أثناء الليل قد اشتدت فيها الأخوة بيني وبين سمير، ووجدت فيه الخليل الموافق، ووجد في الأنيس. وقلت بشجوي وقال:

قلت: العجب من ترك الناس التفكير في أمرهم إن هم ساغت حياتهم وطابت أيامهم، فهم يهزلون مُصحين ويعبثون مُمسين، يتسمون منافقين ويعدون مُخلفين، ذئابا فيما بينهم، غير عشرين ولا خدومين... حتى إذا أصابتهم مصيبة أقبل بعضهم على بعض يتعاطفون، فيتحابون ويتألفون؛ العجب من إقبال الناس على حطام الدنيا الخسيسة، ومن ركوبهم بحرها الهائج حتى أصبحوا سفرا مغلوبين، تعصف بهم شهوات جامحة فتجرف سفينتهم جرفا، ليت شعري هل لسفينتهم إرساء!

قال سمير وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة صفراء حزينة: الناس في السفينة يشعرون بالاجتماع والوحدة، والناس على الأرض يلتذون بالتنافر والفرقة. السفينة توظف فيهم حب الإنسان لأخيه الإنسان، وتوظف فيهم جذوة الأخوة والتآلف؛ هم إنس على متن البحر جن على أديم الأرض، قوهم فيها يظأ ضعيفهم، وغنيهم يستصغر فقيرهم قلله واحتقارا لأمره...

لقد مات والدي منذ كنت صبيا، ولم يترك لي ولوالدي سوى منزل حقير ناوي إليه. وكان لنا جاز من أغنياء الحرب، لم أعرف مثله قسوة قلب، لا يحفل ببؤس البؤساء، وشقاء الأشقياء، قد شغله نعيمه عن شطف الناس، وشغله يُسرُه () عن عسر الناس، ولعله لم يكن يشعر ببؤسهم

وانطلقت سريع الخطو، فتلقاني السّادن الثّاني، فنظر، ولعلّه فهم، وقال: «اصعد إلى الطابق الثّاني، وهناك يدلونك».

وصعدت الدّرج مثني، وقد أصابني بعض الغضب، لست أدري أعلى السّدنة أم على نفسي.

وثاب إليّ رشدي عندما فُتح الباب بحركة عصبية عجلّي، وسمعت صوتاً يأمر أو كأنه تفضّل. ونهضت، وأسرعْتُ. وأمام باب المكتب مع السّادن «التّشيط» وصلت. وطُرق الباب في رفق، طرّقه صاحبي، وفُتح الباب، فتحة صاحبي، فدخلت.

اشتمل المكتب عليّ وعلى سمير. وخيّل إليّ أنّي انقطعت عن العالم الخارجيّ، أو انقطع عني. وكان سمير جالساً في مكانه جلسة الوقار، ومدّ إليّ يده مصافحاً في تأدّب مفرط محرّج، وفي لين مزعج. وإن من التّأدّب ما يُخرج ومن اللين ما يُزعج!!

وما هي إلا أن وجدتني غائصاً في كرسيّ وثير، وتحت قدميّ زربية مبنوثة، كثّة الصّوف جميلة الألوان، متمتّعاً بدفء لذيذ.

وكان سمير قليل الحركة، متّزنها، قليل الكلام، خافت الصّوت، كأنه يريد بذلك مزيداً من غموض ومهابة ووقار. وكان مستقيم الجلسة، لا يتكئ ولا يحتبي كأنه تمثال أقيم أو جماد مركز.

وسألني حاجتي، فقلت:

- انتهت أيام الهجرة، ومسؤوليتنا إزاء الشّباب المحروم كبيرة، والتّفكير في القيام بنشاط إيجابي فرض علينا، نحن الذين أعانتنا الأقدار على الخروج من الحرمان إنه «الميثاق»...

فتغصّن وجهه، وانقبضت أساريره، وصمت صمتاً خيّل إليّ أنه ثقيل طويل، وفهمت، ووددت ألا أسمع منه، ولكنه قال:

- «إني مازلت بعد لم أتخلص من تعب الدّرس وضنّي الحرمان، والشّباب له ربّ مدبر حكيم... إنك مازلت تعيش، كما عهدتك، في حصر الفكر وشدة الجهد... رفّه عن نفسك والتحق بنا من حين إلى حين، تجد «هناك» - فتیان صدق - يعرفون كيف «يقضرون الدّهر»، زرنا - ولا حرج - لنخوض في مختلف الأحاديث ونغنم ولا نغبن».

وووجدتني في الشّارع منطلقاً أسعى كأنني السّهم، لا أدري كيف نزلت الدّرج وكيف خرجت من الإدارة... أسعى وأفكر وكأني حالم..

أفكر في الذين يتعلمون ثم يرجعون إلى الوطن وكأنهم في بلاد هجرة، لا يفهمون واقع أمتنا المتخلّفة الضّعيفة، ولا يابتهون للمعذبين في الأرض... إنه ميثاق السّفينة يُطلب فلا يدرك!

المنجى الشمالي

وصرت إلى باب إدارته، فاعترضني رجل ربّعة، مفتول الكتفين، في وجهه شربة من حُمرة، كثر الشاربين شديد سوادهما، في زيّه الأزرق التّقليديّ زيّ حفظة الأبواب ()، هو «الشّاوش» أحد سدنة هذا العرين. انتصب واقفاً أمامي وكأنه قد عراه بعض المسّ ورفع يده محيياً تحية «عسكريّة» تلقائيّة وقال: ماذا تريد؟ فأعلمته بأنّي أرغب في مقابلة «السّيّد» سمير. فسألني قائلاً: «هل لك «جواز» يضبط موعداً؟» قلت: «لا...» قال: «لا سبيل إلى الدّخول إلاّ به».

وكنت على وشك الانصراف إذ عاودني سائل، في صوت المزهو بنفسه يريد تقديم مساعدة يعتبرها ثمينة: «هل لك به قرابة؟» قلت: «لا». «وهل لك به سابق معرفة؟» قلت - عمداً - «لا». فقال: «هو على كلّ لا يمكنه قبول أحد في هذا اليوم! ولكن زرنا في يوم من الأيام المقبلة لعلّ الله يسهّل من الأمر ما هو عسير...».

وانطلقت إلى الشّارع، وكأني قد أصبت بصدمة هزّتني هزّاً، وجعلت أتساءل عن معنى أسئلة الحاجب... ونظرت إلى السيّارات الأنيقة الفخمة التي كانت رابضة بالمحطة الممتدّة أمام الإدارة... ولست أدري لم راجعتني ذكرى تلك المسافات الطويلة التي كُنّا في باريس - أنا وسمير - نقطعها، أيام السّعد، في حافلات «المتر» نحشر فيها حشراً، والتي كُنّا، أيام الإفلاس، نقطعها مشياً على الأقدام.

لاشكّ أنّ لسّامير سيارته الفخمة الطويلة المتبرّجة! إن السيّارة اليوم امتداد للشّخصيّة وضمان لها.

وفكرت في أنّ أحادثه بالهاتف، لعلّي أظفر به فننتفق على موعد للقاء... وأجابني في الجهاز صوت فتاة، وكأنّها تؤنّب هذا المنادي الذي قطع عليها «هدوءها» وأقلق «راحتها» وعكّر صفو «سعادتها». قالت عصبية غضبي: «من تريد أن تخاطب؟» فقلت لها رغبتني. فأجابت متنطّعة ضجّرة، قالت: «السّيّد سمير لم يأت، وليس له أوقات مضبوطة في المكتب ولعلّه، إن قدم، سيمضي كامل يومه، في جلسة أكيدة...» وعجز الهاتف عن أن يصلني بسمير، كما عجز السّادن الأمين عن أن يوصلني إليه، فقلت لعلّ رسالة لا تعجز، وكتبت إليه.

ووصلت إليّ، ذات يوم، رسالة ليست كتلك الرّسائل العاديّة التي نتلقاها من النّاس العاديّين، ولكنها رسالة تزدان في أعلى اليمين بعنوان إدارة سمير في خطّ عربي جميل أعلى اليسار بترجمته إلى الفرنسيّة... وإذا بسمير «مبتهج» بطلبي زيارته، وفي وضبط لي موعداً.

وفي اليوم الموعد والوقت المضروب صرت أمام باب الهيكل العظيم، فانصب أمامي ذلك السّادن ربّعة. فقدّمت إليه «الجواز»... فجعل يكثر قراءته، وكأني به لا يقف على ما فيه، ثمّ قال لي: «أتجه إلى نهاية الممرّ، وهناك سيدلك «الشّواش» الآخرون».



APRÈS L'EFFORT, LE RÉCONFORT.

Que vous soyez salarié, commerçant, fonctionnaire, profession libérale, chef d'entreprise... Avec RETRAITY épargnez dès à présent pour constituer des revenus complémentaires qui vous seront versés au moment de votre choix, sous forme de capital ou de rente. Plus de détails sur notre site internet.



www.carte.tn



الحرب الباشية الحسينية في تونس (1728-1756)

على امتداد تاريخها ومنذ نشأة جهاز الدولة بها في العصور القديمة، لم تشهد البلاد التونسية حرباً أشرس وأطول وأكثر دموية وتأثيراً من تلك التي عرفتها في منتصف القرن 18م بين حسين بن علي وأبنائه ومناصريه من جهة، وابن أخيه علي باشا وابنه يونس وأنصاره من جهة ثانية. لقد حولت هذه الحرب التي اندلعت بسبب الصراع على الحكم البلاد إلى ساحة وغي على امتداد حوالي ثلاثين سنة (بين 1728 و1756) بتقطعات، غير أن تأثيراتها كانت عديدة وعميقة، تواصلت لعقود، بل لقرون وذلك إلى غاية نشأة الدولة الوطنية الحديثة مطلع الاستقلال.



• بقلم د. عادل بن يوسف

ظروف اعتلاء حسين بن علي الحكم

في سنة 1702 تمكّن أمير جند البايات المراديين وأغا الصبايحية إبراهيم الشريف من قتل آخر البايات المراديين، مراد باي الثالث (1702-1698). كما قضى على كافة أبناء حمودة باشا المرادي وأحفاده منهيًا بذلك فترة حكم المراديين بتونس منذ سنة 1631. لذا أعلنه جند الصبايحية بايا، ثم عُيّن باشا على تونس من قبل السلطان العثماني على البلاد واستأثر لنفسه بجميع الخطط ونُودي له بـ: «الباشا إبراهيم الشريف باي داي». ورغم وصوله إلى أعلى منصب سياسي على رأس الإيالة التونسية، فإنه فشل في كسب ثقة الناس نظراً لتواصل أعمال الشغب والاضطرابات التي اندلعت منذ رحيل مراد الثالث. لذلك اتّجه سكاّن الحاضرة إلى اختيار حاكم جديد منهم يمثلهم... فاتفق أهل الحل والعقد وأعيان البلاد والجنود على مبايعة حسين بن علي، بايا على البلاد يوم 12 جويلية 1705 بديوان المدافعية أمام القصبه فقبلها مكرها وتجددت البيعة العامة والرسمية له يوم 15 جويلية 1705 ليؤسس بذلك العرش الحسيني. وقد تحدث أحمد بن أبي الضياف في كتابه «إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان». عنه قائلا: «... وكانت ولاية هذا الباي شرعية، لأنه لم يطلبها، ولا سفك لغرضه دماء المسلمين في طلبها...». وكان والده علي المنحدر من جزيرة كنديا (الكريت اليوم) بعد ضمّها إلى الدولة العثمانية سنة 1669 وقد تطوّع في الجيش الانكشاري في العهد المرادي. وقد عمل بالكاف وبها تزوّج من امرأتين، إحداهما من قبيلة الشنانفة والأخرى من قبيلة شارن (حفصية الشامية)، فأنجب من الأول ابنه محمد ومن الثانية حسين الذي ولد سنة 1675. وقد اقتفى الولدان خطى والدهما في الخدمة العسكرية إلى أن نجح حسين في إعلان النظام الحسيني الذي سيحكم تونس طيلة 252 سنة (من 15 جويلية 1705، إلى حين إعلان المجلس الوطني التأسيسي النظام الجمهوري في 25 جويلية 1957).

توريث الحكم سبب البلية

لم يكن لمؤسس الدولة الحسينية في بداية عهده بالحكم سنة 1705 أولاد من الذكور، لذا تبنى ابن أخيه علي باشا الذي نشأ في كفالته. ولمّا بلغ من العمر 17 عاما استعان به وأولاه مهمة السّفر بالمحال فأبلى البلاء الحسن. ولهذه الخطة أهمية قصوى إذ يلقّب صاحبها بـ «باي الأمحال» ويكلف باستخلاص الجباية داخل البلاد. وطيلة حكم الأسرة الحسينية كان صاحب هذه الخطة هو أليا «ولي العهد». غير أنّ كل المعطيات قد انقلبت رأسا على عقب بعد زواجه بفتاة جنوية مسيحية على غاية من الجمال وتدعى «حسنا» جنوة» «ماريا دومينيكا دوريا» Maria Domenica Doria» وهي ابنة «أتوري دوريا» Ettore Doria» والي حصن طبرقة الجنوبي، وقد وقعت في أسر أحد القراصنة الذي أهداها للباي فأسلمت بعد عام من اصطفاها وأنجبت له ولدان: ابنه البكر محمد الرشيد (سنة 1710) فعلي (سنة 1712)، فاعتقها وسماها «أمنة»، ثم أطلق عليها اسم «مئانة» وأنجبت له محمود ومصطفى... ومع اشتداد عود ابنه البكر محمد

الرشيد قدّمه والده سنة 1724 للسّفر بالمحلة «... ومحبة الولد طبيعية في البشر، وله أسوة بمن تقدّمه من الملوك...» كما يقول ابن أبي الضياف.

ولتجنّب غضب ابن أخيه علي، استجلب له حسين بن علي منصب الباشا من اسطنبول وأخرجه من قصر باردو وأمره بالإقامة في دار رمضان باي... غير أنّ علي باشا سرعان ما استصغر خطته الجديدة وقرّر الخروج على عمه وتوجّه مع خاصته إلى جبال وسلات (المساندة لكلّ ثائر أو متمرد على الدولة) وتحصّن بها فالتحم به جمع كبير من العربان الساخطين على سياسة عمه.

أسباب أخرى

رغم عديد الإصلاحات الهامة التي قام بها حسين بن علي منذ 1705 ونالت استحسان غالبية السكان وفي مقدمتها تحالفه مع أعيان وشيوخ القبائل المخزنية بإدماجهم في دواليب الدولة وتشريكهم في استغلال خيرات البلاد وتقريبه القبائل المخزنية من السلطة والرفع من شأن رؤسائها والحد من نفوذ المؤسسات التركية واعتماده بالخصوص على الأهالي على حساب الأتراك وتقويته لمكانة الفرق العسكرية المحلية في جيشه... إلى أن صار يخيل له بأن المملكة... بمثابة الحصر الذي طواه و جلس تحته... (على حدّ قول صاحب الإتحاف)، فإنّ الأعراب رأوا كونه أسرف في إتباع سياسة جبائية مجحفة وثقيلة استهدفت احتكار فوائض الإنتاج عبر نظام المُشترى (نظام يتمثل في اقتطاع إجباري لجانب من المحصول بأسعار تفضلية متدنية يتولى البايليك بيعها مسبقا للتجار الأجانب محققا بذلك أرباحا هامة)، حرمت المنتجين من جزء هام من إنتاجهم. يضاف إلى ذلك فرضه العديد من الضرائب على الرعية خاصة على حساب المجموعات الريفية وقمعه لبعض القبائل والمجموعات الراضة للضرائب الجديدة وخاصة سكان الجبال وفي مقدمتهم سكاّن جبل وسلات...

انقسام «الأمة» إلى حسينية وباشية

أمام كلّ هذه التطوّرات انقسم سكاّن المملكة إلى صقّين: صفّ حسيني وهم الذين وقفوا في صفّ الملك حسين باي الأول. وقد ضمّ هذا الصفّ سكان كلّ من: القيروان وصفاقس وسوسة والمنستير والمهدية والقلعة الكبرى وأكثر قبائل دريد وجلاص وأولاد سعيد والهامة... وصفّ باشي تألّف من: المناصرين لعلي باشا الأول و المساندين لثورته على عمه. وهم: سكان جبل وسلات و قبائل ماجر و الفراشيش و أولاد عيار وورثان والمثاليث وأولاد عون و كعوب و السواسي وسكان مسكن وجبال والقلعة الصغرى و أكودة و زاوية سوسة و بقية قرى الساحل... وغيرهم.

أطوار متقلّبة

* انتصار أولي للصفّ الحسيني: تمكّن صفّ الشرعية الحسينية الحاكمة في البداية من هزم علي باشا ومن معه سنة 1729، لكنّه تمكّن من الفرار إلى الحامة التي كانت من القائميين بدعواه ومنها إلى الصحراء ثمّ بلاد الزاب

RESIDENCE LA BRISE Jardins de Carthage

Vous invite à découvrir son nouveau projet "LA BRISE" sis aux jardins de Carthage. Résidence de très HAUT STANDING abritant 17 appartements S+1, S+2 et S+3 ainsi que 2 Duplex et un grand parking sous sol.



السابق ثم دفنه بترتبه المعروفة بتربة القاسمين بالجامع الجديد. أما أبناء محمّد الرشيد وعلي فقد تمكّنوا من الهروب للجزائر طلبا للنجدة، فيما نجح محمود الموجود بسوسة حينها من امتطاء مركب أرسله له شقيقه إلى بيت المنستير والتوجه إلى مالطة فمرسيليا حيث كرمه حكاهما ليلتحق بالجزائر حيث سيظلّ الإخوة الثلاثة هناك طيلة فترة حكم علي باشا (بين 1735 و1756).

استرجاع ابننا حسين بن علي لعرش والدهما

في سنة 1755 طالب الأميران المنفيان اختاريا في الجزائر العاصمة محمّد الرشيد وعلي باي من باي الجزائر بابا علي بوسباغ مساعدتهما على استعادة عرش والدهما الشرعي المسلوب. وقد قبل باي الجزائر طلبهما وأوكل مهمة ذلك إلى باي قسنطينة، حسن زرق عيونو. سلك الجيش الجزائري طريقه نحو تونس بقيادة باي قسنطينة يرافقه محمد رشيد وعلي باي. وبعد حصار دام ثلاثة عشر يوما اجتاز قلعة الكاف. وبعد إخضاع باجة تحرك الجيش نحو تونس العاصمة التي استولى عليها في 31 أوت 1756 بعد حصار دام شهرين تخلّته عمليات نهب من قبل الجنود الجزائريين والمليشيات التونسية الموالية لهم.

وفي 22 سبتمبر 1756 قُتل علي باي مخنوقا على يدي مماليك «روامة» أي أوروبيين-. وفي الوقت الذي دعا فيه باي قسنطينة قواته إلى العودة، أثر محمّد الرشيد الاختفاء في حصن باردو. أمّا شقيقه علي باي فقد توجه إلى صفاقس لتجهيز قوات من الحلفاء السابقين لوالده، قائدا جربة وصفاقس. وبعد أن استنفر محمّد الرشيد شقيقه الذي قدم من صفاقس مع قوات نظامية متكونة في معظمها من فرسان القبائل، نجح

إلى حين وصوله للجزائر العاصمة حيث استنجد بحكامها الأتراك، الذين كانوا ينظرون إلى النظام القائم في تونس بعين الريبة. وقد قبلوا مساعدته وترجيح الكفة لفائدته سنة 1735 مقابل التزامه بدفع تعويض مالي هام لمصاريق الحملة وفرض وصايتهم على تونس. ومما بلغ لعلم حسين بن علي خبر خروج المحلّة من الجزائر، جمع عساكره وخرج من تونس في محلّة ضمت أبناءه الأمراء علي ومحمد ومحمود يدعمهم صباغية الترك والأوجاق وسائر دريد والمرازقة... ونصبت خيام محلّة حسين باي بمنطقة سمنجة قرب واد مجردة، فيما نصبت خيام محلّة علي باشا المدعومة من الأعراب والطرابلسية على الضفة الغربية للواد. وفي ليلة 4 أوت 1735 باغتت قوات علي باشا حسين باي بالهجوم على قواته التي هزمت وأجبر الباي على الانسحاب إلى مدينة القيروان وهو مصاب في فخذه. أمّا ابنه علي فقد التجأ في البداية إلى العاصمة ليطمئن على عائلته قبل أن يلتحق بوالده وإخوته في القيروان. و بعد أن تأكد سكان العاصمة من هزيمة حسين باي، قرروا مبايعة علي باشا حاكما جديدا على البلاد وذلك يوم 5 أوت 1735. وبعد أن علم الباشا بذلك أرسل ابنه يونس باي إلى تونس التي دخلها يوم 7 سبتمبر 1735 ثم لحق به والده في اليوم الموالي حيث جلس على العرش بالقصبة وأخذ البيعة من عامة الناس فكانت نهاية حكم حسين بن علي.

كما التحقت محلّة الجزائر بعلي باشا بالحاضرة وبدأت في نهب المدينة وتخريبها فصدّهم عدد من سكانها وقتل الكثير منهم. ولم يتمكّن يونس باي من السيطرة على الوضع إلا بافتكاح سلاح كل من يدخل المدينة وأصبحت البلاد تحت وصاية دايات الجزائر.

وفي سنة 1736 قام يونس باي محاصرة القيروان لمدة 11 شهرا لكنه فشل في السيطرة عليها، ليعيد الكرة مرة أخرى في السنة الموالية لكنه فشل. وفي نوفمبر 1739 توجهت محلّة يونس باي إلى القيروان وخيّم في المكان المعروف اليوم بذياع التمار (شمال المدينة) وحاصر القيروان كما ورد في الإتحاف: «... نزل بدار الأمان من شرقها وتترس لرميها بالمدفع والبونبه وعطل مدافعها عن إصابة عسكره. كما عطل أهلها عن تسنم السور للمدافعة وتلم سورها إلى أن دخلها يوم 13 ماي 1740. فلاذ الناس بمقامات الصالحين وخرج الباي حسين من الباب الغربي، على فرس شقراء معروفة بالسبق في لمة من خواصه، فأدرسته خيل يونس باي ورميت فسقط به وقعد مكانه لا يدنو منه أحد، إلى أن أقبل يونس فترجل واختلط سيفه وتقدم له، فقال له حسين بن علي: أتخصّب شيبني بدمي يا يونس وقد طهرت (ختنت) أبك في حجري؟ فردّ عليه بجوابه الشهير: «المُلْكُ عقيم يا سيدي وباشر قتله بنفسه». وقد قال في هذا المشهد شاعر الدولة الباشية أبو عبد الله الورغي (1713-1776):

« أبو الحزم قتال السلاطين يونس *** ويونس ليث للأسود أكل
سيجمعهم في قبضة ويجزهم *** كما جُز من أصل النبات فسيل»

وأرسل يونس رأس حسين بن علي إلى أبيه علي باشا الذي بكى وأذكر فعل ابنه ووَضعت الرأس بطحاء القصبة حتى يتأكد الناس من زوال ملك الباي



Pour plus d'informations, nous contacter au :

simpar@planet.tn
www.simpar.tn

 SIMPAR

 29 921 011 / 29 921 009

لعزیز علیک إحمیه

حتى 5 د
ب 5 في الشهر*



* حسب مساحة الدار وقيمة الي فيها



إنت ليا و أنا لیک

علي باي في هزم المتمردين واستعادة السلطة الشرعية لأخيه وإجبار الجيش الجزائري على مغادرة تونس العاصمة مقابل غرامة مالية ثقيلة وأتاوة سنوية رمزية تتضمن شحنتين من زيت الزيتون لإنارة مساجد الجزائر العاصمة (حسب نص المعاهدة)... وهكذا أمكن لابني حسين بن علي: محمد الرشيد باي (حكم من 02 سبتمبر 1756 إلى غاية 12 فيفري 1759)، ثم من بعده شقيقه علي باي (حكم بين 12 فيفري 1759 و 26 ماي 1782)، استعادة عرش والدهما كما تنبأ بذلك أحد المجذوبين في ضريح سيدي عبد الوهاب سنة 1708. وقد تواصل حكم أبناء حسين بن علي وأحفاده إلى حين إعلان النظام الجمهوري يوم 25 جويلية 1957.

نهاية مأساوية لأفراد العائلة الحسينية

حسب دراسة حديثة أنجزتها الأستاذة «ماري تيراز بوهاجيار» Marie-Thérèse Buhagiar، غادرت «ماريا دوريا» أو مائة تونس برضا زوجها منذ اندلاع الفتنة لدواع غير معلومة وعادت إلى مسقط رأسها جنوة، بينما بقي أخوها مصطفى جنوز مع صهره في تونس، بوصفه قائدا للمدفعية. وانتهى بها المطاف، بعد أن رفض والدها قبولها في البيت، إلى دخول أحد الأديرة. وقد امتد بها العمر إلى سنة 1789، أي أنها عاشت قرابة القرن حسب الوثائق التي كشفت عنها. وقد آثرت العيش داخل دير حوالي 54 سنة زاهدة منعزلة مسخرة حياتها للصلاة والعبادة، علها تكفر - حسب اعتقادها - عن الذنب الذي اقترفته بالارتداد عن دينها بعد أن قضت عشرين سنة في حريم باي تونس، في وقت كان أبنائها محمد الرشيد ومن بعده علي باي ثم حفيدها حمودة باشا يحكمون البلاد التونسية. والطريف أن ابنها علي كان قد تزوج أيام منفاه في الجزائر



جارية عليجة أطلق عليها اسم «محبوبة» التي أنجب منها فتاة سماها «أمينة» أو «منانة» على اسم والدته، أي جدتها.

أما ابن عمهما وخصمهما علي باشا، فقد مات كما سبق ذكره مخوقا وعرضت جثته في القصبه ليرأها الناس قبل دفنها في التربة، كما فعل برأس عمه حسين باي قبل 16 سنة. كما قتل معه ابنه محمد وأخوه مراد و حفيده نعمان، وغيرهم كثر .

نتائج وخيمة ومخلفات كارثية

كانت الحرب الحسينية- الباشية فتنة ومحنة في ذات الوقت، «شاب منها الوليد» كما جاء في عجز بيت الشاعر أبي عبد الله الورغي. لقد خربت الحرب المدن والقرى وأهلكت الحرث والنسل وعطلت الحرف والتجارة والمبادلات داخل الإيالة وخارجها... وأسالت أنهارا من الدماء وفرقت بين الأهالي، وبنّت جبلا من الأحقاد الدفينة والتنكيل بين الشقين المتحاربين (تنكيل يونس باي بسكان جهة الساحل...), لم تهدأ سواكنها إلا بعد عقود. كما عمقت الحرب الأهلية الانقسام أو الصّفوقية في كامل أنحاء المملكة بين صفّ موال للسلطة «حسيني / مخزني / موال...» وآخر معارض لها «باشي / متمرد / منشق...». وسيتواصل هذا الاصطفاف لعقود مع انتفاضة بن غذاهم بين 1864 و 1867 وإثر دخول الاستعمار البلاد في ماي 1881... كما كرّست الحرب تدخل دايات الجزائر في الشأن السياسي التونسي بارتباط مصر حكام البلاد بمصر محكومهم الأتراك وكذلك عسكريا بتدخل الجيش الجزائري في أربع مناسبات: 1705 و 1735 و 1746 و 1756... وهي تدخلات اتسمت بفضاعتها الشديدة، مخلفة شعورا بالغبطة والمرارة في نفوس البايات ورعاياهم على حدّ سواء.

ولم تستعد الدولة عافيتها إلا أثناء حكم علي باي بن حسين (1759 - 1782) ثم ابنه حمودة باشا (1782 - 1814)، الذي اعتبرت فترته بالعصر الذهبي للدولة الحسينية، حيث تمكّن مع وزيره يوسف صاحب الطابع من وضع حدّ نهائي لتدخل باي قسنطينة في معركة وادي صراط (قرب مدينة الكاف) في جويلية 1807، التي هُزم فيها الجيش الجزائري وتشتت بين قرى الكاف وأريافها ولم ينج من بينه إلا عدد قليل من الأتراك فرّوا باتجاه قسنطينة ثم الجزائر العاصمة ليكتمل استقلال البلاد سنة 1807 وتصبح تونس دولة كاملة السيادة. ونتيجة لهذا «التحرّر» بدأت عملية تعريب البلاد، بإحياء الثقافة واللغة العربية وإرساء نظام تعليمي تشرف عليه الدولة وذلك بالتوازي مع سلسلة من الإصلاحات العسكرية والدستورية قادتها نخبة متنوّرة في عهد كل من أحمد باشا باي (1837 - 1855) ومحمد باي (1855 - 1859) ومحمد الصادق باي (1859 - 1882)، لكنها للأسف لم تحل دون انتصاب الحماية الفرنسية في 12 ماي 1881 وهو حدث عذّه بعض المؤرخين بكل المقاييس محنة أخطر من الحرب الأهلية لكونها سلب البلاد استقلاليتها السياسية والعسكرية والاقتصادية! ■

ع.ب.ي.

• علي باشا (8 سبتمبر 1735 إلى 2 سبتمبر 1756)

الحبيب بورقيبة زمن التحديات والتطلعات للطاهر بلخوجة



صدرت هذه الأيام الطبعة الثانية لكتاب « الحبيب بورقيبة، زمن التحديات والتطلعات » وهو من تأليف الطاهر بلخوجة أحد أبرز رجالات السياسة في العهد البورقيبي وقد تقلد عديد المناصب العليا في الدولة كاتب دولة للفلاحة (1970) ووزيرا للشباب والرياضة (1971) ووزيرا للداخلية (1973 - 1977) ووزيرا للإعلام (1981 - 1983) وعضوا بالديوان السياسي للحزب الاشتراكي الدستوري ونائبا لمجلس الأمة. كما اضطلع في بداية حياته السياسية بمهام الكاتب العام للاتحاد العام لطلبة تونس (1957 - 1959) ورئيس الكنفدرالية لطلبة شمال إفريقيا (1958) قبل أن يتولى على التوالي خطة رئيس ديوان وزير الخارجية (1959) ورئيس ديوان وزير الاقتصاد (1966) ومدير عام الأمن الوطني (1967 - 1968) إثر أحداث الشعب التي شهدتها تونس العاصمة إبان اندلاع الحرب العربية الإسرائيلية في جوان 1967، في الوقت الذي كانت فيه البلاد تخوض التجربة التعاقدية بإشراف الرجل القوي أحمد بن صالح. وعمل الطاهر بلخوجة أيضا في الحقل الدبلوماسي قائما بالأعمال في سفارة تونس بباريس في بداية الستينات في أوج تأزم العلاقات بين تونس وباريس الناجم عن مطالبة تونس بجلاء القوات الفرنسية عن قاعدة بنزرت وكذلك سفيرا بداركار ومدريد وبون التي عين فيها بعد إعفائه من مهام وزير الداخلية قبيل أحداث 26 جانفي 1978 الدامية حيث كان إلى جانب عدد من الوزراء الذين استقالوا من مناصبهم رافضا لسياسية التصلب التي انتهجها الوزير الأول الهادي نويرة وعدد من المسؤولين في الحكومة والحزب في مواجهة مطالب الاتحاد العام التونسي للشغل بقيادة أمينه العام الحبيب عاشور.

ويتضمن الكتاب تسعة فصول عرض الطاهر بلخوجة في أولها تراجم مختصرة لرفقاء المجاهد الأكبر قبل أن يسرد وقائع كفاح تونس من أجل تصفية الاستعمار (أحداث ساقية سيدي يوسف وحرب بنزرت وملف الحدود التونسية الجزائرية وإشكالية الديمقراطية السياسية) ثم يتناول المرتكزات التي انبنت عليها الدولة بعد الاستقلال وما شهدته البلاد من «مغامرات اقتصادية» (فشل التجربة الاشتراكية وتداعياتها) و«أزمات اجتماعية» (الخميس الأسود وثورة الخبز). كما تطرق الطاهر بلخوجة إلى المساعي المغاربية من أجل الوحدة (مؤتمر طانجة المنعقد في أفريل 1958 والمقترح الجزائري



ويجمع المؤلف الذي يقع في 254 صفحة من الحجم المتوسط بين أجناس مختلفة في الكتابة إذ هو يراوح تارة بين التأريخ لأحداث عايشها الطاهر بلخوجة وتارة أخرى بين الشهادة التاريخية والمذكرات الشخصية مع السعي إلى تحليل خصائص مسيرة بورقيبة السياسية في علاقة بثلاثة رهانات مصيرية وهي: إنهاء الحماية الفرنسية والمنهج السياسي والمصير الحدودي بين تونس وليبيا.

Avec le service E-Business, gérez le compte de votre entreprise en toute sécurité.

QNB met à votre disposition le service E-Business, un package à multiples avantages qui vous permet de :

- Consulter le solde et les opérations du compte.
- Télécharger le relevé de compte en ligne sous : Excel, PDF et Word.
- Effectuer des virements multiples des salaires et autres règlements.
- Bénéficier du système « Exécutant / Contrôleur », via le jeton de sécurité « Token ».





LA MATINALE 06:00 - 10:00
DU LUNDI AU VENDREDI

Durant 4 heures Hamza Belloumi entouré de Mokhtar Khalfaoui, Mohamed Boughaleb, Houcem Hamad, Malek Jlassi, Zina Zidi, Hassan Zargouni et Amine Bouneoues décryptent l'actualité : politique, économique, sociale, culturelle et insolite... Rien n'échappe à la vigilance de nos matinaliers !
Le tout dans la bonne humeur !

- 5 - لم يغادر عبد الله فرحات الحكومة فقد عين وزيراً للتجهيز والإسكان خلفاً للهادي خفشة الذي أخذ مكانه في وزارة الدفاع.
- 6 - انطلقت من طرابلس في اتجاه القاهرة في جويلية 1973 حتى تتصدى لتزد مصر في موضوع الوحدة وتم إيقاف المسيرة في «فوكا» على الحدود المصرية.
- 7 - وزير التخطيط
- 8 - وزير الصحة العمومية
- 9 - الأمين العام للاتحاد العام التونسي للشغل
- 10 - رئيس الاتحاد التونسي للصناعة والتجارة
- 11 - رئيس مجلس الأمة
- 12 - مناقش دستوري كان من أقرب المقرّبين من بورقيبة.

إعلان جربة

في ساعة حاسمة وفي فترة مليئة بالتحديات وفي يوم خالد، وتحت شعور مثقل بالمسؤولية التاريخية، استجاب المجاهد الأكبر لنداء الوحدة العربية وقد أحسّ نفس النداء لتحرير الأرض العربية الإسلامية.

ووقع الزعيم الحبيب بورقيبة مع العقيد معمر القذافي إعلان الوحدة بين القطرين العربيين التونسي والليبي، على أساس المبادئ الدستورية المعمول بها في البلدين، وعلى أن يكون البلدان جمهورية واحدة تسمى الجمهورية العربية الإسلامية، ذات دستور واحد وعلم واحد ورئيس واحد وجيش واحد وسلطات تشريعية وتنفيذية وقضائية واحدة. ويكون الاستفتاء لقيام الوحدة إن شاء الله في يوم 25 من ذي الحجة 1393 الموافق لـ 18 يناير 1974.

للوحدة مع تونس في ماي 1973 ومرور أنبوب الغاز الجزائري عبر التراب التونسي والوحدة المجهضة مع ليبيا في جانفي 1974 والخلاف التونسي الليبي بشأن الجرف القاري وقضية الصحراء الغربية). وبخصوص الأوضاع العربية ذكر الكاتب برؤية بورقيبة لحل القضية الفلسطينية التي يسطها في الخطاب الذي ألقاه في أريحا في مارس 1965 وعلاقاته المتوترة مع الرئيس جمال عبد الناصر.

ومن جهة أخرى، تعرّض الطاهر بلخوجة إلى التحديات الأمنية التي شهدتها تونس («المؤامرة ضد بورقيبة في سنة 1962 وانتفاضة جوان 1967 وقضية الجوسسة التي ضلع فيها مواطن سوفياني وعدد من التونسيين في سنة 1974 واختطاف

الطائرة البريطانية التي حطت بتونس في نوفمبر 1974 واحتجاز وزراء النفط رهائن في اجتماع الأوبك في فيانا في ديسمبر 1975 وغلق مطار تونس قرطاج الدولي في وجه الطائرة المقلّة للقراصنة كما كان الشأن بالنسبة إلى طائرة الخطوط الهولندية KLM المختطفة في سنة 1975 فضلا عن محاولة أحد العناصر الليبية اغتيال الوزير الأول الهادي نويرة في السنة نفسها والهجوم على قفصة في سنة 1980 من قبل تونسيين بتدبير من النظام الليبي وتواطؤ من السلطات الجزائرية).

وخصّص الكاتب الفصل الثامن من الكتاب للحديث عن السباق المحموم لخلافة بورقيبة وعن الانقلاب الطبي الذي أطاح بالرئيس في 7 نوفمبر 1987 وذلك قبل أن يتناول في الفصل الأخير الذي يحمل عنوان «حرمة الوطن» متطلبات صيانة أمن الوطن، متطرّقا بالخصوص إلى مسائل الجيش المهني والخدمة العسكرية والحرب على الإرهاب.

ولعل أهمية الكتاب تكمن في ما احتواه من معلومات وأسرار لم يسبق نشرها بشأن أحداث مفصلية في تاريخ تونس المعاصر لا يقدر على البوح بها إلا من كان في موقع متقدم في السلطة ومنها الوحدة المجهضة بين تونس وليبيا في جانفي 1974.

وقد اخترنا من الكتاب هذه الورقات التي يروي فيها الطاهر بلخوجة ملابسات إعلان جربة الودودي وخفاياه. **ع.ه.**

1 - كان محمد المصمودي آنذاك وزير الشؤون الخارجية

2 - كان آنذاك رئيسا مديرا عاما للشركة التونسية للبنك

3 - لم يغادر عبد الله فرحات الحكومة فقد عين وزيراً للتجهيز والإسكان خلفاً للهادي خفشة الذي أخذ مكانه في وزارة الدفاع

4 - كان يومين قد اقترح على بورقيبة خلال زيارة للكاف يوم 11 ماي 1973 وحدة بين تونس والجزائر فأجاب بورقيبة قائلا: «لو بدأ ببعض الإنجازات المشتركة مثل معمل إسمنت أو مركب فندقي في نقطة أو توزر»

فرد يومين مغتاضا: «معامل الإسمنت والطماطم كانت محل حديث الفئتين. نحن نمثل السلطة السياسية، فلننجز عمليا عظيما...» وإذا بورقيبة يفاجئ بضيفه: «إن ضم منطقة قسنطينة الجزائرية إلى تونس تحقق توازنا جغرافيا بين البلدين (...)» فأجاب يومين: «تونس ليست ناضجة للوحدة» (ص 155 من الكتاب).





Écoutez-nous sur :

NABEUL
HAMMAMET
100.0
FM

CAP BON
GRAND TUNIS
104.1
FM



FM



MOBILE



WEB



PODCASTS

@RadioMedTunisie RadioMedTN Radio Med

Téléchargez notre application maintenant
Sur Google Play !!



Cité El Wafa Nabeul Jadida 8000 Nabeul-Tunisie www.radiomedtunisie.com

(+216) 72 32 85 00 (+216) 72 32 85 60 marketing@radiomedtunisie.com

القذافي والهادي نوييرة. وتضم 16 وزيرا تونسيا و14 وزيرا ليبيا. وكنت وزيرا للدفاع وكان القذافي رئيس أركان القوات المسلحة.

وفي الطائرة بدا بورقيبة منتشيا وهو يردد : «لم أكن قط أتخيل أن مثل هذا الحلم سيتحقق وأنا على قيد الحياة!». وقبل الهبوط رجوته «عدم التقيّد بتاريخ محدد للاستفتاء، إذ لم نستكمل استعدادنا...»

وفي المطار ارتجل بوقيبة [تصريحا قال فيه] : «(...) أملنا في التحاق الجزائر وموريتانيا والمغرب بليبيا وتونس (...) وقرّرنا تنظيم استفتاء، مبدئيا يوم 18 جانفي 1974 [أو] يوم 20 مارس : عيد الاستقلال (...). ونتمنى أن نرى شعوب المشرق تقتدي بنا لتكوين مجموعة عتيبة متينة.»

وفي الساعة الثانية صباحا قدم إلى بيروت في طائرة خاصة عمر المحيشي عضو مجلس قيادة الثورة. فاستقبلته وسيلة محضر سفيرنا صلاح الدين عبدالله. وحاول المبعوث الليبي إقناعها بالوحدة، واقترح عليها أن تمتطي طائرته الخاصة إلى تونس لإقناع بورقيبة بنيد «التأثيرات الفاسدة» ونظرا لتعقد الأوضاع [عاد الوزير الأول إلى تونس] وكان منزعجا. واتفقت معه على التكتّم. ثمّ تقابلنا في بيت الشطي بقرطاج. وكان [يستفسر] عن المراحل العملية وخفاياها. وطرحنا شتى الأسئلة دون أن نجد لها أجوبة مقنعة أو تحليلا صائبا أو قاطعا: هل كان اجتماع جربة طارئا أم مبيّنا؟ لم وقع اختيار تاريخه في غياب الوزير الأول وحرّم رئيس الدولة؟ ماذا كان دور وزير الخارجية؟

لقد حدّد الرئيس الأجل الأقصى للاستفتاء يوم 20 مارس، و[تعديل الدستور] يتطلّب حوالي ستّة أشهر. بورقيبة لا يتنكر لتوقيعه! ماذا سيكون ردّ فعل القذافي؟ ماذا سيكون موقف الجزائر والمغرب؟ هل دسّت ليبيا مخبرين في صلب أجهزتنا؟ من الذي أعدّ قائمة أعضاء الحكومة الجديدة، فالقذافي لا يستطيع أن يفعل ذلك وحده؟ ما سرّ تعيين القذافي نائب رئيس الجمهورية وفي الوقت نفسه رئيس هيئة الأركان (...)?

ويوم 13 جانفي صباحا، اتّصل بورقيبة هاتفيا بالرئيس بومدين وعرض عليه الانضمام [إلى الاتحاد] فأجابته : «أنّ الجزائر لا تمتطي القطار وهو [يسير] وأنّ الحدث قد تكون له عواقب على المنطقة بأسرها.»

وعلّقت جريدة «المجاهد» الجزائرية : «... إنّ الاتّحادات المفتعلة العابرة والبيانات المصطنعة لا تتغيّر مجرى التاريخ.»

وصرّح المغرب : «إنّ التسرّع والارتجال قد يحرمان الوحدة من النجاح...»

الطاهر بلخوجة، الحبيب بورقيبة،
زمن التحدّيات والتطلّعات (ص 161 - 166)

كيف أجهز مشروع الوحدة
التونسية الليبية ؟

«في أوائل شهر جانفي 1974، كان بورقيبة في ولاية نابل. وكان الوزير الأول [الهادي نوييرة] في زيارة لإيران، وشرعت وسيلة [بورقيبة] في جولة إلى جدّة والكويت وبيروت ودمشق.

ويوم 8 [جانفي] كان الرئيس في الحمّامات. وكنت إلى جانبه وعلمت أنّ الزعيم الليبي [معمر القذافي] يودّ الالتقاء بالرئيس على جناح السرعة في مدين أو قابس. فظننا أنّ الأمر يتعلّق ربّما بقضية أمنية خطيرة. وكان في الموعد في جربة ويوم 12 جانفي وصل القذافي وقد [احتشدت] الجماهير هاتفية : «الوحدة، الوحدة...»

وفي جربة قضى العقيد ليلته في فندق «أوليس» في نفس الطابق الذي يقيم فيه المصمودي 1 الذي أتى إليه بعد منتصف الليل بعد سهرته مع حسان بلخوجة 2.

وقد انتشر رجال أمن القذافي في كامل الطابق المخصّص لهم. واقتصر [دور] رجالتنا على حراسة المداخل. وهكذا لم [نحصل على معلومات عن اللقاءات] ولكن «علمنا أنّ النقاش والكتابة داما طيلة تلك الليلة...»

وفي صباح اليوم الموالي، قصدنا جربة، وكنت مع [الحبيب] الشطي مدير الديوان الرئاسي و[محمد] الصياح مدير الحزب [الاشتراكي الدستوري]. وفي مطار جربة، استقبلنا معمر القذافي مرتديا زي الضباط، محفوقا بالمصمودي والفيتوري وحسان بلخوجة. ومن المطار إلى الفندق، هتفت الجماهير هذه المرّة بحياة الرئيسين حسب تعليماتي إلى والي الجهة.

وفي النزل انفرد الرئيسان أقلّ من ساعة قبل أن ينادينا مدير المراسم عبد المحيد القروي وقال لنا القذافي : «مبروك ! وقّعنا وثيقة الوحدة، وأصبح بورقيبة من الآن رئيسنا جميعا... على أن يكون البلدان جمهورية واحدة تسمّى الجمهورية العربية الإسلامية، ذات دستور واحد، وعلم واحد، ورئيس واحد، وجيش واحد، وسلطات تشريعية وتنفيذية وقضائية واحدة، وأن يقع الاستفتاء إن شاء الله، في يوم 18 جانفي 1974». وكان بورقيبة يبلغ من العمر 71 عاما والقذافي 31 عاما.

ثمّ سلّم القذافي وثيقة ثانية وانحنيت فوق المنضدة، وكانا يقرآن قائمة أعضاء حكومة الوحدة، وساعد الرئيس بورقيبة نائبان : معمر

وأخر الليل توقفت المسيرة على الحدود وسمحنا بدخول وفد ليبي محدود. وكانت [بالنسبة إلي] ليلة بيضاء راقبنا فيها كل التحركات.

ومن الغد رويت للرئيس وقائع الليلة المضطربة [وأطلعته على] ما اتخذناه من تدابير حازمة. وتبادلنا الرأي حول التصدي للضغط الليبي والتخفيف من تصلب بعض أعضاء الحكومة والحزب.

يوم 24 جانفي، بعد إعلام بسيط، كان وصول القذافي إلى جنيف [التي تحول إليها بورقيبة في وقت سابق وقد توجه وفد سياسي هام يضم نويرة والشطي و[منصور] معلي 6 و[محمد] مزالي 7 و[الحبيب عاشور 8 والفرجاني بلحاج عمّار 9 والدكتور الصادق المقدم 10 والبشير زرق العيون 11 وبقيت أنا وحدي في تونس «لأحرس الدار». وأراد بورقيبة أن يستقبل ضيفه في المطار [فأثنته] حاشيته عن ذلك بدعوى أننا لسنا في بلدنا.

وبادر القذافي [بالقول]: «أطلب منكم احترام تعهداتكم». وتحدث الصادق المقدم عن [الإجراءات الدستورية] وتدخل الحبيب عاشور [لينزل في النقاش] بثقل اتحاد الشغل [قائلا]: «لم تتم استشارة الشعبين (...). فلم يستسلم بورقيبة ودعا [القذافي] شخصا إلى تناول طعام العشاء فكانت مأدبة قصيرة كئيبة مع رئيسين مدهولين غاضبين ومرافقين مكبلين من الخجل والفرع.

ويوم 8 فيفري، كان إحياء حوادث ساقية سيدي يوسف. وتحول ليلتها نويرة إلى عتابة ليلتقي فيها بالرئيس بومدين القادم إليها خصيصا. وكنت تحولت إلى مدين لتهدئة الخواطر بعد خيبة أمل سكان الجنوب. وفي تطاوين خاطبت جماهير المناطق الحدودية التي أتت بالآلاف.

ويوم الأحد رافقت الهادي نويرة إلى سويسرا واستقبلنا الرئيس في المساء وكان مغتما. ومن الغد صباحا حدثه الوزير الأول عن لقائه في عتابة مع بومدين الذي «أعرب عن دعم الجزائر التام لسيادة سيادة بلادنا». واستمع بورقيبة دون تعليق وشعرنا أنه مستاء حزين. والتزمنا الصمت الثقيل طيلة طريق العودة.

ويتضح أن بورقيبة لم يعدل عن مشروع الوحدة. فهو الذي يختنق في تونس الصغيرة المتواضعة ويفكر في اكتساب حجم رئيس دولة عظمى على رأس بلاد شاسعة ذات وزن اقتصادي، مهيبة سياسيا يحسب لها كل حساب، بفضل الأبعاد الترابية الجديدة.

وكان يود إقامة توازن سياسي جديد في المنطقة والتصدي من الناحية الشرقية لأي مشروع وحدودي. وكان يعتقد أنه يستطيع كبت نزعة الوحدة لدى القذافي وربطه بالمنطقة المغاربية. ■



عبرت للرئيس عن حيرتي [على الصعيد الأمني] فاتخذت قرارا بإعفاء عبد الله فرحات من مهام وزارة الدفاع وتعيينه بالهادي خفشة 3 وتعيين أحمد بنور كاتب دولة مكلفا «بالأمن العسكري». وقد رفض المصمودي منصب وزير ممثل شخصي [الرئيس الجمهورية] وعوض بالشطي.

وفي اليوم نفسه وصلت الجزائر مع الشطي، ولم نحظ بمقابلة بومدين، رغم صفتنا كمبعوثين خاصين وتلك هفوة دبلوماسية نادرة. وتحدثنا مع المدغري وزير الداخلية وعبد العزيز بوتفليقة [وزير الخارجية] الذي قطع زيارته الرسمية لفرنسا. و[كانا مستائين] من رفضنا اقتراحهم الودودي في الكاف 4. «كل شيء ممكن مع الجزائر ولا يمكن أن يتحقق أي شيء بدونها».

وبعد يومين من اتفاق جربة، وصل وزير الداخلية خويلدي الحميدي ليقدّم بطاقات التصويت للاستفتاء. ولبلا أثناء المأدبة علمت أن جماهير ليبية عبّأتها اللجان الشعبية تجمعت على حدودنا. فأكد لي الوزير الليبي أنهم مناظرون قادمون إلى تونس «لتهنئة» الرئيس بورقيبة، وذلك بالاتفاق بين الزعيمين. فأدرت فوراً أن الليبيين يحاولون تكرار «مسيرة الوحدة العربية» 5.

ولم يجرؤ أحد على إيقاف بورقيبة، وأمسك الوزير الأول عن تلقي المكالمات الهاتفية. فقررت غلق الحدود واستعدنا لمواجهة كل تجاوز. وعلى سبيل الاحتياط قررت مفردتي [تلغيم] بعض الجسور ومنها جسر قابس، إذا استلزم الأمر ذلك خشية اجتيازه من طرف الجموع الليبية بمعونة الجمهور التونسي.

FM

Jawhara

Diga DIGGA

DU LUNDI AU VENDREDI

DE 17H à 20H

جعفور

مدينة تونس حاضرة عربية متوسطية

كثيرة

- الفن المعماري : المعالم الكبرى والأساليب المعمارية
- الرقي الحضاري : الشواهد الفنية.

يدعو المؤلف القارئ إلى عبور الفضاء والزمان كما لو كان في متحف مفتوح ليستكشف محطات كبرى من تاريخ مدينة تونس ويتبين تعدد وثراء أمطاطها المعمارية، العربية الإسلامية منها والأوروبية والمتوسطية، وتنوع مرافقها ولتتابع كذلك مختلف الاتجاهات الدينية والتحوّلات الاجتماعية والحركات الفكرية والأدبية والإبداعات الفنية التي شهدتها ربوعها من حرف وصناعات تقليدية وموسيقى وفنون تشكيلية مع ما كان يطبع الحياة اليومية لسكانها من عادات وتقاليدها على مرّ العصور، فيتعرّف إلى رجال ونساء عظام أثروا في عصرهم، ويقف في نهاية المطاف، من خلال التفاعل بين الأحداث والأعلام في كل مكان من العاصمة مدينتها الوسطى وأرباضها وأحيائها، على حيوية تراثها وتأصله في جذور مزدوجة، عربية ومتوسطية.

يشير ميشال تيراس أستاذ التاريخ والآثار المتوسطية ورئيس المجمع المتوسطي الذي أشاد بالمنهجية المتفردة التي اعتمدت في إعداد الكتاب إلى أنّ هذا التأليف يُميط اللثام عن تاريخ معقد ومنح القارئ «مفاتيح استكشاف يحاول ألا يهمل أي مفاجأة من المفاجآت التي يحفل بها عالم مدينة تونس».

كما يعتبر في التوطئة أنّ هذا العمل الجماعي هو «عبارة عن مشكاة متألّقة تشعّ بصور تؤكد أنّه ينبغي أن ينظر إلى تونس اليوم بمنظار البعد الزمني الطويل وغيره من الأبعاد المتعددة». وهو في نظره أيضا «كتاب يقرأ كرواية لمغامرة، يعرض على أنظار قارئه متحفا حيا يقود كل واحد منا نحو اكتشافات متتالية حلّت بعمق وإسهاب». بعد صدور هذا الكتاب بحق حدثا ثقافيا وعلميا إذ أنّ ليسدّ بعد طول انتظار فراغا في السجلّ البليوغرافي عن مدينة تونس إذ لم يكن يتوفّر في السابق مؤلّف جامع يسلط، بهذا القدر الكبير من الشمولية، الأضواء على تاريخ عاصمة البلاد التونسية عبر العصور ويبرز تراثها الحضاري الموسوم بالثراء والتنوع.

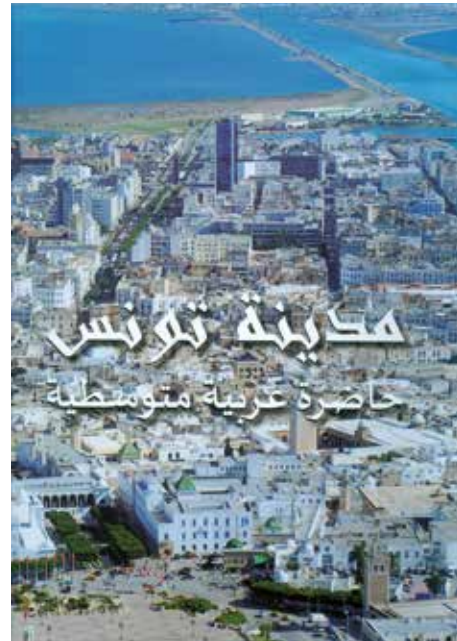
الكتاب تحفة فنية في مستوى جمال مدينة تونس وبهاء معالمها وعمق إرثها التاريخي وثيقة مرجعية في غاية الأهمية، لعلّه من أهم ما يمكن أن يحتفظ به المرء في مكتبته ومن أفضل ما يُقدّم هدية لها وقع حسن في نفس كل من يتقبّلها. **ع.ه.**

هي الكتب والأطروحات الجامعية والبحوث العلمية التي ألّفت عن مدينة تونس غير أنّها لم تتناول خصائصها الجغرافية والتاريخية والحضارية عبر مختلف العصور بشمولية مثل تلك التي يتميّز بها الكتاب الصادر مؤخرًا بعنوان «مدينة تونس حاضرة عربية متوسطية» باللغتين الفرنسية والعربية، بإدارة من وكالة إحياء التراث والتنمية وبحرص من وزير الشؤون الثقافية وذلك بمناسبة الاحتفاء بمدينة تونس عاصمة الثقافة الإسلامية لعام 2019 والاحتفال بالذكرى الأربعين لتسجيلها من قبل اليونسكو على قائمة التراث العالمي.

الكتاب تأليف جماعي ضخم يقع في أكثر من 500 صفحة من الحجم الكبير، صمّمه وأنجزه الدكتور عبد العزيز الدولاتي بدعم من ميشال تيراس ومساهمة من فوزي محفوظ وسلوى درغوث وقد شارك في كتابة نصوصه الإثنان وأربعين إثنان وثلاثون كاتبًا من بين جامعيين وباحثين ومثقفين متخصصين في التاريخ والحضارة والجغرافيا والهندسة المعمارية والطب والفنون والآداب والإنسانيات. وقد جاء في طبعة أنيقة، زاخرة بالصور الجميلة المنتقاة بعناية فائقة والمشفوعة بالشروح اللازمة لمضمون كل مقال.

وتنوّع نصوص الكتاب على ثمانية أبواب وهي:

- المعطى الجغرافي
- استكشاف المركز التاريخي: المدينة الوسيطة والمدينة الأوربية
- بزوغ عاصمة : التاريخ والنمو الحضري
- مجتمع مدينة تونس من الأصول إلى القرن التاسع عشر
- النظام التربوي والصوفية وطرقها
- الفكر السياسي والحياة الأدبية





بطاقة

• بقلم الصحفي الوهابي

كتاب الشتائم

كنت

وجوه؛ فلما قرأ الموضوع، أسقط في يده، وخاب أمله، وأيقن من فشله؛ فقد كان على الورقة صورٌ لسبقان طيور بلا رأس، وكان المطلوب أن يسمي تلك الطيور معتمداً شكل السبقان، ففكر وخمن، فلما أعيته الحيلة دفع بالورقة فارغة بيضاء إلى أستاذه وهو غاضب، يُرعد ويُزبد، فقال له الأستاذ: «صفر واعتبر نفسك من الآن في زمرة الراسين لسوء سلوكك» ثم تفتن إلى أن الطالب لم يدون اسمه على الورقة، فلحق به يسأل: «ما اسمك يا ولد؟» فشمّر الطالب سرواله حد الركبتين وقال: «هل تستطيع يا أستاذ أن تستشف اسمي من شكل رجلي؟». نصيحة للمقبلين على مناظرات وزارة الداخلية وامتحاناتها: «راجعوا السبقان، ولا تراجعوا الرؤوس!... ولا تنتظروا صياح الديك، حتى تدركو أن النهار انبلج. حتى لو لم يكن هناك ديك يؤذن للفجر، فإن النهار سيطلع!»...

أحاط الفتية بأهمم التي تحترض؛ ففتحت المرأة عينيها وأومات لابنها البكر، وهمست: «أريد المسؤول عن الحزب الحاكم؛ أحضره بسرعة»؛ فقال لها ابنها وهو يجاهد كي لا يرفع صوته الغاضب: «لماذا يا أمي؟ بعد هذا العمر الطويل في المعارضة، تريدينه في بيتك؟»؛ وألحت الأم: «هذه رغبة امرأة تحترض. أحضره حالاً يا ولدي»... الأبناء الذين تحلقوا حول أمهم اندهشوا لرغبتها وهي المرأة الصلبة المعارضة التي لا تلين؛ ولكنهم أذعنوا لمشيئتها، وجاء ممثل الحزب الحاكم في المدينة، يسعى؛ ففتحت الأم عينيها، على تعب، وقالت: «أريد أن أخرب في حزبكم الآن، حالاً!»؛ وسجل الرجل اسمها في دفتره وسلمها بطاقة انخراطها وهو في غاية السعادة، يقول في سره: «أخيراً أذعنّت هذه المرأة. أخيراً كسرت شوكتها». وعندما انصرف وخلت المرأة إلى أبنائها، قالت لهم بصوتها المكدود: «الآن أستطيع أن أموت! هاهو الحزب الحاكم ينقص واحداً من منخرطيه. هذه واحدة منهم تموت. أنهم ينقصون واحداً. الآن أستطيع أن أغمض عيني»...¹

ص.و.

أحسب السب والشتيمة فناً عصياً على أهل السياسة في المبتدئين والدخلاء منهم، ففيه تورية وتلميح وإيحاء؛ حتى رسخ ما كنت أحسب لما سمعت النائبة المحترمة المهذبة تنادي زميلها: «يا كلب!»؛ وهي سبة فجة، لا تنم إلا عن ضيق صدور أفاق؛ وغير خاف، كلما ضاق الأفق، ضاق الصدر؛ وكلما ضاق الصدر، ضاق الأفق؛ والأفق خط وهمي، يتراجع إلى الوراء، كلما تقدمت نحوه؛ لذلك، لا تصدق أهل السياسة حين يقولون: «سيتحسن وضع البلاد في أفق سنة 2020... وللأسفة وجه وفقاً؛ أو صوت ورجع؛ فأما الصوت، فما يسمعه سائر الخلق من إنس وجان وحيوان: «يا كلب!»؛ وأما الرجع، فلا يسمعه إلا خاصة الخاصة... ويقول بعض علماء النفس إن جزءاً من قشرة المخ يتحكم في ردة الفعل، ويلجم اللسان عن التصريح بعبارات فجة بذيئة؛ غير أنه يحدث أحياناً، في حالات الصدمة النفسية أو الجسدية العنيفة، أن ينكسر صمام الأمان ذاك، فاسحا المجال لعدوان لفظي غريزي، يخفف من ألم الصدمة... هناك في المخ، إذًا، نظام يدير الإساءة اللفظية؛ والامتناع عن التعبير اللفظي العنيف يعارض دورة النظام تلك، على حساب معاناة عاطفية حقيقية ومؤلمة. ذلك أن كبح جماح اللفظ السيء يتطلب كثيراً من الدربة والمراس والتضحية؛ وأما الناس العاديون، الذين لا يقدرّون على ذلك، مثل السيدة النائبة؛ فليس لهم من خلاص، إلا بالسب والشتيمة... ويحدث أحياناً، أن يأتي بعضهم إلى الدنيا، دون صمام، أو دون قشرة مخ، أو حتى دون مخ أصلاً... وفي كل الحالات، لا يرسل شتيمة، من كان لا يقبل أن يسمع رجع صداها؛ ولا يبلغ جوزة هند، من لم يكن واثقا من تصريحها... والثقة بالنفس مرتبة لا يدركها إلا عالم أو... جاهل جهول...

دخل الطالب قاعة الامتحان، واثقا، مؤقنا من نجاحه بتفوق وامتياز، وكيف لا؟ وهو العالم، العليم بالحيوان في بره وبحره